ديوان

عبد العزيز المقالح

دار العودة - بيروت

ديوان عبد العزيز المقالح

ديوان
عبدالعزيز المقالح

الشاعر

دار العودة - بيروت

١٩٨٦

كورنيش المزرعة - بناية ريفييرا سنتر
تلفون : ٣١٠٨٤٠ - ٣١٨١٦٥ - ٨١٥٣٣٥
تلكس AWDA 23682 LE
ص.ب ١٤٦٢٨٤

إلى صنعاء ..

مدينة الثورة والامـــل

ع . ا

عن الشعر .. واليمن

عبد العزيز المقالح

ما الشعر ؟

سؤال قديم ، جديد ، ومحير . يذكرني دائماً بسؤال أقدم منه ، وأكثر اثارة للحيرة،وهو : ما الحياة ؟ وإذا كان الواقعيون – من فلاسفة العصر – قد آثروا أن يعيشوا

الحياة بدلاً من أن يبددوا أيامها القصيرة في التعليل والتفسير، فان على الناس – والشعراء منهم – أن يعيشوا الشعر، ان يقرأوه، ويكتبوه بدلاً من البحث عن ماهيته ومنابعه !

وفي مقـابلة – نشرت أخيراً في مجلة الجيش بصنعاء –

سألني صديقي الشاعر الكبير عبدالله البردوني عن الشعر مـــا هو ؟ (فليس من المعقول أن تشغل الأدمغة بشيء لا جدوى فيه) وقد ترددت كثيراً قبل أن أجيب عن سؤال صديقي الشاعر بقولي : (ان الشعر رؤى لعـــالم جديد، ومحاولة للنفاذ، خلال الحلم، مما هو كائن، إلى ما ينبغي أن يكون ليس في عالم الواقع المادي فحسب، بل في عـالم الحلم نفسه، اي في العـالم الشعري، حيث نحلم بلغة جديدة غير مسكونة – على حـد تعبير ادونيس – وبينابيع لم تطرق بعد – كما يقول حسن اللوزي – وهذا الأخير شاعر مبدع من اليمن المجهول)[1].

فإلى أي مدى استطعت أن اقنع صديقي الشاعر بـــا

---

(١) مجلة الجيش العدد « ٦٩ » ديسمبر ١٩٧٥ .

قلت ؟ وهل كل مـا قلته تعريفاً حقـاً للشعر ؟.. لا أظن فالتعريفات ، - والجامعة المانعة منها - كما يقولون - يمكن أن تصدق على المعطيات العقلية لا الوجدانيـة . والشعر في أحسن أحواله معطى وجداني، وسياحة في الأعصاب!

وليست هذه أول مرة أعجز فيهـا عن تعريف الشعر فمنذ بدأنا رحلة الحرف - أنا والشعر - لم أعرف مـا هو ؟ ولا من أين يجيء ؟ وكلما اتسعت خطواتنا معاً زادت رقعة الغموض بيننا اتساعاً ، وصرت الآن في حضرته أشبه مـا أكون بذلك القروي ، القادم من الجبال ، والواقف أمـام البحر لأول مرة،يسائل نفسه في دهشة :

ما البحر ؟

وفي صدر بعض دواويني المتواضعة محاولات مختلفـة للاجابة عن السؤال القديم الجديد . لكن تلك المحـاولات سريعاً مـا كانت تنزلق من التعريف بالشعر نحـو التعريف بوظيفة الشعر ، من الماهية إلى القضية ! ففي ديوان « لا بد من صنعاء » وهو أول دواويني ،كتبت « ورقة إلى القارىء »

جاء فيها : (الشعر كالتصوير ، كالموسيقى، ليس ترفاً ذهنياً ولا ثياباً بلاغية يرتديها الحكام والممدوحون بمناسبة وبلا مناسبة ، وإنما هو صوت ضمير الشعب والشاعر ، والصورة الداخلية لأعماق الانسان والفنان معاً)[1].

وفي ديوان « مأرب يتكلم » وهو الديوان المشترك الذي جمعني بصديق العمر الشاعر الكبير عبده عثمان ، ينتقل الحديث عن الشعر إلى الحديث عن مراحل — تطوره باعتباره — أي الشعر — كاللغة وسيلة تعبير ، تتغير مع ظروف الإنسان،وتخضع لما يطرأ على الحياة من تطورات ، وما يدركها عبر الزمن من تغيير :(فالشعر فن من الفنون الجميلة كالموسيقى والرسم والنحت .. الخ والمتابع لماضي وحاضر هذه الفنون — وحتى غير المتابع — يدرك جلياً التطور الذي لحق بها على مدى الخمسين عاماً الماضية من هذا القرن)[2].

---

(١) ديوان « لا بد من صنعاء » : الدار الحديثة للطباعة والنشر ، تعز ١٩٧٠ .

(٢) ديوان « مأرب يتكلم » الدار الحديثة للطباعة والنشر . تعز ١٩٧١ .

أما في الديوان الثالث « رسالة إلى سيف بن ذي يزن » فقد بدا لي الشعر وكأنه صوت الحزن النابت في ضلوع البشر ، فكانت قصائده صدى لذلك الصوت الغائر في الأعماق ، والصلاة اليومية التي نؤديها في بيوتنا فرادى وجماعات ، والوجبة التي لا تنقطع ولا تتأخر. (ومن خلال سيف بن ذي يزن – الرمز والقناع – قدمت في هذا الديوان اطيافاً من حزن جيلنا ، فالحزن كان طفولتنا وصبانا وشبابنا ، وما يزال .

وفي مقابر ، وفي معابد الشعر الحزينة كثيراً ما تساءلت :

لماذا الحزن ؟ لماذا كل الشعراء حزانى ؟!

أتذكرون صاحب القروح الذي بكى واستبكى ؟؟

ومالك بن الريب ،أتذكرون مرثيته الباكية ؟

أتذكرون أحزان المتنبي – الصخرة – التي لا تحركها الكؤوس ولا الاغاريد ؟!

أتذكرون أيضاً تعللات أبي العلاء ؟

وسوداويات بودلير

وتشرديات رامبو

ويونانيات بايرون ؟

ثم .. أتذكرون غجريات لوركا ؟

وبيروقراطيات ماياكوفسكي ؟

وسجنيات ناظم

واندلسيات شوقي

وبكائيات الزبيري

ومنفيات البياتي

وحلاّج عبد الصبور

وأشجان مدينة حجازي

أتذكرون ؟؟

يقول صلاح عبد الصبور – حياتي في الشعر – رداً على مثل سؤالي السابق عن حزن الشعراء : « ان الفنانين

والفئران هم اكثر الكائنات استشعاراً للخطر ، ولكن الفئران حين تستشعر الخطر تعدو لتلقي بنفسها في البحر، هرباً من السفينة الغارقة . أما الفنانون فانهم يظلون يقرعون الاجراس ، ويصرخون بملء الفم، حتى ينقذوا السفينة » واذا كان الأمر كذلك – وهو فعلاً كذلك – فلتشهد عيون كل الاحياء، وارواح كل الموتى ، اننا في اليمن المتخلف المقهور ، سنظل رغم احزاننا الكبيرة والكثيرة – بل بفضل هذه الأحزان – سنظل نحفر في الظلام ، ونقرع الاجراس حتى مطلع الفجر)[1] .

وحين ظهر الديوان الرابع (هوامش يمانية على تغريبة ابن زريق البغدادي) كانت فيه اكثر من قصيدة تؤكد على ان الشعر قد صار المخلص الوحيد ، القادر على صد العدوان الخارجي والداخلي على السواء ، وان ذلك الرفيق الغامض – حتى وهو في عنفوان عموديته – وسيلة غنائية وخطابية جيدة لطرد أشباح الغربة والخوف :

---

(١) ديوان « رسالة إلى سيف بن ذي يزن » ، دار الهناء بالقاهرة ، ١٩٧٢ .

دمعي – على البلد المهدور – مهدور
وصوته – كالصدى المهجور – مهجور

أبكي ، أعض جدار الليل منطفئاً
في غربتي تتخطاني الاعاصير

وحين لا الدمع تشفيني صفائحه
ولا تغيب عن العين الدياجير

أعود للكلمات الشعر أسألها
عطفاً ، وفي رئتي للحزن تنور

تمدني في حنانٍ ثم تمنحني
نشيدها ، وهو منظومٌ ومنثور

اعلو به ، اتحدى ليل نكستنا
والرعب منتشرٌ ، والهول مسعور

ارتاد عـالم حتفي غير مكترثٍ

وفي فمي من أبي الاحرار تبشير[1]

واخيراً يجيء الديوان الخـامس « عودة وضاح اليمن » ، قد اختلط فيه صوت الشعر بالحنين الى اليمن ، واليمن التي يحن اليها الشعر ليست اليمن التي بصق عليها الأئمة ، وخلعوا رؤوس أبنائها وعقولهم ، وليست اليمن التي شوهها سلاطين ما بعد الثورة وتجار الحروب الاهلية !! ولكنها ذلك اليمن الجميل الجديد الموحد ، يمن المحبـة والعدل الاجتماعي ، يمن الثورة والفقراء والطلبة والمهـاجرين ، يمن الجنود والضباط الانقياء . ومن أجل ذلك اليمن الجميل الجديد يكتب جيلنا الشعر ، ويحب الورد ، ويحتفل بمنظر الشروق :

ودياري هي الحلم

من أجلها أسكن الشعر ،

---

(١) ديوان « هوامش يمانيـة على تغريبة ابن زريق البغدادي » ، دار العودة، ١٩٧٤ .

والشعرُ يسكنني

يتخلق عبر دمي ..

تحت جلدي خلايا ، وانسجة

في النهار الكليل يرافقني في المغاور شمساً

وفي الليل يركض في خيمتي قمراً

كلما اشتقت للوطن المستباح النجوم ،

نشرت خريطته في دمي

فوق جمجمة الشعر ،

في عظمه

وتحسست جرح القرى والمدائن[1]

---

(١) ديوان « عودة وضاح اليمن » : دار العودة .

والآن ، وقـد أوشكت المقدمة ـ بل المقدمات ـ أن تنتهي.فان السؤال الذي بدأتها به ما يزال قائماً :

ما الشعر ؟

وقد يكون من الافضل ان اترك الإجابة عن هذا السؤال للشعر نفسه ، فربمـا كان في مقدوره ـ ان كان شعراً ـ ان يجيب عليه ، وسأكتفي فيما تبقى من سطور بأن أطرح بـين يدي القارىء العربي جانبـاً من محنتنا الشعرية في اليمن : فنحن ـ كثر من شعراء أي قطر عربي ـ نعاني من التمزق بين العصور ، ونعيش أزمة مختلفة ، ونستوعب برؤوس من القرن العشرين، ونسير باقدام في العصر الحجري ! ويتصادم طموحنـا إلى التجديد مـع الشروط الموضوعية للواقـع المتخلف،فنحاول ـ رغم ذلك ـ ان نتحدى هذه الشروط ، لا بالقفز عليها ، ولا بالتصالح معها ، وانما باختصار الفجوة الزمنية بيننا وبين العصر الى أقل عدد من السنوات ، وذلك باستغـلال كل امكانيات الكلمـة المقروءة والمسموعة ، واستخدام كل الاشكال الحديثة والقديمـة ، وكل اللهجات: الفصحى ، والعامية ، والوسطى . ولهذا فنحن في تحـد

مستمر مع اللغة ، ومع الزمن ، ومع التقاليد ، ومع الرجال الخارجين من بطون الكتب الصفراء ، ومن كل عصور التاريخ . فاذا بدا في اشعارنا قدر من الانفصام بين الجدة المتطرفة ، والتقليدية المسرفة ، فذلك راجع الى هذه الظروف ، والى اننا نعبر عصور الخضرمة والانتقال بسرعة الصواريخ الموجهة احياناً ، وفي بطء السلحفاة احياناً اخرى ، والحق أن شعبنا – بما ترسب في وجدانه من حس حضاري ، وبما يحتشد في أعماقه من رغبة مشبوبة الى اللحاق بالعصر – شعبنا هذا يساعدنا على الجري ومواصلة السباق ، ليس في مجال الكلمة فحسب بل في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية ، وما يحدث اليوم في شطري بلادنا شاهد عدل على ذلك .

وبعد ..

لقد بدأ الشعراء في بلادنا يحلمون بتغيير الواقع في اليمن منذ مطالع الاربعينيات ، وكان الشعر وسيلتهم الى تحقيق ذلك الحلم ، ومن خلال رغبتهم في تغيير اليمن امتد الحلم الى محاولة تغيير القصيدة . وقد أصبح الشعر عندنا – نحن

أبناءهم وأحفادهم – حلماً بتغيير اليمن ، والقصيدة ، والعالم. فهل سننجح ؟ ذلك ما نتمناه .

عبد العزيز المقالح

٣ يناير ١٩٧٦

لا بدّ .. من صَنعَاء

لا بد من صنعاء

يومـــاً تغنى في منافينـــا القدر
(لا بد من صنعا وإن طال السفر)
لا بد منها .. حبنا .. أشواقها
تدوي حوالينا: إلى أين المفر ؟
إنا حملنـــا حزنهـــا وجراحها
تحت الجفون فأورقت وزكى الثمر

وبكل مقهى قد شربنا دمعها
الله ما أحلى الدموع وما أمر

وعلى « المواويل » الحزينة كم بكت
اعماقنـــا وتمزقت فوق الوتر

ولكم رقصنا في ليـــالي بؤسنا
رقص الطيور تخلعت عنها الشجر

★★★

هي لحن غربتنا ولون حديثنـــا
وصلاتنا عبر المناجم .. في السهر

مهما ترامى الليل فوق جبالهـــا
وطغى واقعى في شوارعها الخطر

وتسمر القيــــد القديم بساقهـــا
جرحاً بوجه الشمس في عين القمر

سيمزق الأعصار ظلمة يومهـــا
ويلفهـــا بحنانـــه صبح أغر

هو ذا يُلملمنا من الغـــابات من

ليل المواني .. من محطات البشر

ليعيدنا لك يا مدينتنــــــا . وفي

أفواهنا قُبل وفي الايدي زهر

إنا كسرنا وجه غربتنا ومـــا

أبقت ليالي النفيَ من زيف الصور

وتهشمت سفن الرحيل وأسلمت

أنفاسها في حضن شاطئنا الأبر

★★★

صنعاء وإن أغفت على أحزانها

حيناً وطال بهـــا التبلد والخدر

سيثور في وجه الظلام صباحها

حتماً ويغسل جدبها يوماً مطر

الابطال .. والسبعون

إلى الأحيـــاء والأموات
من جيل السبعين العظيم..

ماذا أقول ؟

ما عسى يقوله انسان

وما الذي سيكتب القلم

عن الرجال في « عَيبان »

عن الرجال في « نُقُم »

ماذا ـ غداً ـ ستكتب القصائد ؟

وما عسى ستنشر الجرائد ؟

●

تراجعي أيتها الكلمات

تكسري أيتها الأقلام

أشرف منك صوت حرٍ مات

وهو ينازل الظلام

ويحفظ الاطفال في عينيه يغمد الرايات

●

وددت لو كنت الطريق يعبرون فوقه الى الجبل

لو كنت صخرة تحمي صدورهم من الأعداء

لو كنت لقمةً أو شربة من ماء

لو كنت غيمة تمر فوقهم أو قطرة من طل

لو كنت واحداً منهم اموت أو أقتل

أولئك المناضلين

أولئك المقاتلين

من زرعوا الشمس على سمائنا

وثبتوا النجوم والأقمار

وثبتوا النهار

على طريق « ايلول » العظيم

أشعلوا الشباب ، احرقوا الأعمار

صدوا جحافل القديم

أوقفوا مسير العار

فكانت الاعمدة النبيلة البيضاء

وكانت السبعون

أشرف أيام الخلود في ديارنا الخضراء

اخصب ما جادت به القرون

أنصع مولود لأرضنا الحنون

لأمنا صنعاء

•

تراجعي جيوش الكلمات .. خففي خيولنا العرجاء

الرابضون فوق القمم البعيدة الشماء

لا خبز عندهم لا ماء

هل يستطيع الشعر ان يفجر الانهار

أن ينزل الموائد الخضراء

الرابضون وحدهم هناك عند الشمس في القمم

سيصنعون ـ حين يرجعون ـ النهر والامطار

سيذبحون الجوع والألم

فلتخرسي ايتها الاشعار

وليسكت القلم

فالعصر في انتظار

العصر في انتظار

★★★

مقتطفات من خطاب نوح بعد الطوفان

قلت لكم من قبل أن يثور ماءُ البحر

قبل أن تعربد الامواجْ

وقبل أن يغيب وجه الأرض

قلت .. الداء والعلاج

لم تحفلوا ..

لم تسمعوا ..

كنتم هناك في الغيوم في الابراج

أرجلكم ممدودة – كانت – إلى السحاب

رؤوسكم مغروزة في الوحل .. في التراب

قربت مشفقاً سفينتي

أنفقت عمري أجمع الاعواد والاخشاب

قطعت وجه الليل والنهار

أقر في « الكتاب »

أشد مسماراً إلى مسمار

لكن صوتي ضاع في الرياح

سفينتي تاهت بها الامواج

فأبحرت خالية إلاّ من الاحزان والملاّح

●

بكيت

شدني العذاب والألم

حين رأيتكم رأيت السفح والقمم

في قبضة الإعصار

أحزنني أن اشهد الاطفال

أن أشهد النساء

غارقة تضرع في ابتهال

تلعنكم

تبصق في وجوهكم يا أيها الرجال

يا أيها الانذال

أحزنني أن تختفي البيوت والاشجار

أن تختفي الآثار

أن تغرق القباب

أن يغرق الشيوخ والشباب

أن تغمر المياه الزرع والمدائن

أن تغمر المآذن

أحزنني أن ألمح البطون فوق الماء

مبقورة شوهاء

أحزنني .. عميت لم أعد أرى

شيئاً من الناس .. من القرى

تلاشت الالوان والاسماء

وأطبق الدجى

وغام وجه الارض والسماء

●

قلت لكم والمد لم يزل بعيداً

والبحر لم يزل بعيداً

أن تفتحوا عيونكم على الخطر

أن تجمعوا السادة .. والعبيدا

أن تصنعوا من شوقكم ، من حبكم نشيدا

لتصعدوا به إلى القمر

لكنكم لم تسمعوا ، تعالت الضحكات

في ردهات « القات »

أقعى الضمير في دياركم ومات

فكان هذا الهول والاحزان

كانت الهزات

لا سفن البحر ولا الفضاء

تنقذكم من قبضة القضاء

فقد طغى الطوفان

وكان ياما كان

من ذكريات عهد النازي

حدق إليّ بكل عينيك التهمني بالنظر

سجل حماقاتي سخافاتي

وسجل بالصور

كم مرة أمضي الى الحمام

كم أمضي لحاجاتٍ أخر ؟

ماذا أفكر ؟

كيف أمشي ؟

أين اعتاد السهر

هل أقرأ الكتب الحديثة

هل اجادل في (البقر)

يا وغد .. قل ماذا تريد

وما يريد (الفوهرر)

هجر الرجال الارض واحتلوا مساحات القمر

ويداه تطوينا وتنشرنا

وتعبث بالبشر

اتريد رصد مشاعري

ماذا أخبئه لربك من ضرر ؟

إني لأكرهه بما في الارض من حقدٍ عنيف

لو كنت رُخاً

كنت أحمله الى واد مخيف

وحملت من بين الجموع مكانه الرجل الشريف

اني لأبغضه بما في النفس من قلق وحيره

إني لأبغضه بما في الناس من غضب وثوره

أفهمت ؟

لو يا كلبهم قد كنت ممن يفهمون

ما كنت خلفي ترصد الانفاس تجتر الظنون



★★★

رسالة عامل

في ميناء عـــدن يوم الاستقلال

منتصف النهار

ما زال كفي خاوياً

لم أتسلم بعد كسرة الافطار

لكنني لست ككل يوم

أحلم بالرغيف عند الصحو عند النوم

في لحظة قتلت معنى الجوع في دمي

أصبحت أغنى أغنياء العصر

وجه العصر مشدود إلى فمي

أحس أن قامتي تمتد في الفضاء

تضرب في التخوم

تطاول السماء

تقبل الشمس ، تعانق النجوم

وإنني أحتضن الجبال والأنهار

أسير كالعملاق كالنهار

ما عدت نملة تموت تحت الاحذية

تلعق أقدام الصغار والكبار

وتختفي خلف ثقوب الأقبيه

لأنني أكلت – حتى العظم – سيد البحار

أكلت دولة التاج الكبير

شربت في ميناني الصغير

ما حشدت من الاساطيل ، من الجنود

أكلت في شراهة ،

كل سياط الأمس والقيود

فصرت لا أعرف معنى الجوع والخواء

وقامتي تمتد في الفضاء

تضرب في التخوم

تقبل الشمس ، تعانق النجوم

٣٠ نوفمبر ١٩٦٧

مكانك قــف ..

إلى الشاعر الفلسطيني سميح القاسم

مكانكَ .
لا تبرح الارض
سمر عيونك .. أقدامك [illegible]
عليها .. وأهدابك الذابلات
إذا لم يكن لك بيت هناك
وكوخك أصبح مأوى لخيل الغزاة
تحسسّ على الارض قبراً

ليأويك ، يأوي رفاتك عند الممات

مكانك ، سمر خطاك

وإن هددوك

وإن عذبوك

وان مزقوك

فلا تبرح الارض ، لا تغترب .. لن تخور

عظامك ان سلخوا لحمها

سوف تبقى

جذوراً بظل القبور

وان أحرقوها تظل رماداً بوجه الصخور

وإن أنت غادرت أرضك

مت غريباً

ستبقى معرى تنقر عينيك كل الطيور

وتسخر منك النجوم

وتسخر منك العصور

وحين تمر الصبايا على جثة فوق وحل الطريق

ستسأل جثة من هذه ..؟

فتجيب الرياح

لآخر جند الحمى ، للرفيق (...)

تخلى عن الارض خاف اشتعال الحريق

★★★

مكانكَ

جوعك زاد البطوله

وموتك زيت العيون

وصوتك من خلف أسلاكهم يصنع الفجر

يصنع حلم الرجو

ويكتب ما كان بالأمس ، ما في غد سيكون

بقاؤك في السجن حرية للعبيد

ومحرقة للسجون

و « فدوى » هناك و « توفيق » والآخرون

هناك معا تحتسون الظلام

تنيرون ليل الحقول الحزينة

تشدون رعب المدينة

تغنون للساهرين

تغنون للعائدين

تداعب أصواتكم وجنات الصغار

وتحرس أجداث آبائنا

وتفتح نافذة في سواد الجدار

★★★

مكانك

قف صامداً يا « سميح »

ولو حمّلوك الصليب

ولو طلبوا منك .. تمشي على الشوك

أن تصعد الجلجلة

وفيك أعادوا عذاب المسيح

وكل مخازيهم المخجلة

فانك أقوى

وإنك أبقى

ولن يحصدوا من حقول الاغاني التي أزهرت سنبله

ستنمو ..

ستكبر يوماً

ستفتح للعائدين الطريق

ستصنع في أرضنا ثورة بل حريق

ليأكل من سرقوا الارض

من صنعوا المهزلة



لأنك أنت .. هناك

مكانك لم تبرح الأرض

سمرت فيها خطاك

و.« فدوى » وكل رفاق الطريق

هناك .. وأحلامنا .. في انتظار الشروق

سيأتي الشروق

ويفترش النور أحداقنا بعد ليل عميق

ويمسح ما خلّف الروم بعد انطفاء الحريق

أغنية للفارس المنتظر

أحبابَنا

رفاق رحلة المسير ، والمصير

الراية التي تثبتت فوق جبين الشمس

في صباحنا الكبير

توشك أن تطير

تكاد أن تمزق الرياح السود

نجمها الصغير

والناس حولها نيام

يطالعون البخت

يمضغون « القات » والكلام

ويحلمون بالسلام

ويلعنون النور والظلام

وواحدٌ هناك .. واحد بلا رفيق

يلصق عينه بوجه الشمس يسأل الشروق

يا شروق

متى يجيء من مكانه البعيد

فارسنا العتيد

فنحن جنده ، ونحن جيله الجديد

★★★

يا فارساً أحببته من قبل أن تلمحه عيناي أو تراه

أحببت فيه شعبنا

ما كتبت ، ما صنعت يداه

رأيته في مأرب

حضرت في معبده الصلاه

سمعته يخطب في الجموع

غداً سنعلن الرجوع

ونمسح الأحزان عن « صنعاء » والدموع

★★★

فلتنتفض يا فارس الأحلام والزمن

لينتفض فيك الشريد « ذو يزن »

فإن معبودتك « اليمن »

توشك أن تسلم الزمام من جديد

وتبتدي حكاية العبيد

وينتهي سبتمبر المجيد

فوق ضريح عبد الناصر

« ان الدموع والألم المصحوب بالمرارة لا تقوى على السير في طريق انجاز الرسالة التاريخية التي حملها الراحل العظيم »

من بيان للادباء والكتاب اليمنيين

هنا ينام متعباً

من أتعب الأيام والفصول

من عبرت خيوله فوق جبين الشمس والزمن

فما ونى ولا وهن

حتى ونت من تحته الخيول

واستسلمت لراحة الكفن

فآثر القفول

ونام موهن البدن

●

من أيقظ العيون

هنا ..

ينام متعب الجفون

●

بالأمس مرّ في سمائنا

على جواد الفجر كالصباح

أيقظنا من الخدر

مر بكفه على مواقع الجراح

قال لنا : أنتم بشر

كنا نسينا أننا بشر

وأن شمسنا مشلولة الجناح

فاستيقظت سهولنا ، وانتفض القدر

على جبالنا المجنونة الرياح

●

يا إخوتي هل تذكرون حين مر

كيف بكى حزناً على « بلقيس » و « ابن ذي يزن »

ماتا ، فما ضمها قبر ولم يسترهما كفن

كان على سفر

فثار واستقر

وصاح في الأطلال والدمن

ثوري ، تحركي

فثارت الأحجار والشجر

وثارت اليمن

●

تناثرت من حولها سجون « القات » والكهوف

تقاطرت من قبرها الألوف

والفارس الذي أيقظها ممتشقاً حسامه

يضرب وجه الليل والإمامه

ويسحق الأقزام (والسيوف)

وخلفه ، أمامه

تشتجر الأخطار والحتوف

لا الليل .. لا عواصف الشتاء

ولا زئير الرمل والجبال

تثني حوافر الجواد الممعن التحليق في الفضاء

تهز ذرة احتمال

عبر يقين الفارس المتشح الضياء

حتى تكسرت على طريقه النصال

واحترقت كهوف الليل والفناء

ولامس الجبين الأسمر السماء

●

وبعد ألف رحلة ورحلة انتصار

يعود للديار فارس النهار

يعود متعباً ليستريح

لينفض الجراح والغبار

هنا على جوانب الضريح

وفي غد يستأنف المسار

من جوف قبره يصيح

متابعاً بقية الحوار

٢٩ – ٩ – ١٩٧٠

الشاعر الشهيد

إلى روح شاعر الثورة ..
الشهيد محمد محمود الزبيري

ليضحك الكهف من الأعماق
لتقرع الكنائس البعيدة الأجراس
لتفقأ المدينة العابثة الأحداق
فما الذي سوف ترى بعدك غير الليل
غير اليأس
غير مرارة الإختناق

بعدك لن نذوق الأمن والنعاس

•

لترحل الطيور من أوكارها بحثاً عن الربيع والزهور
في غابةٍ أخرى
غابتنا ليس بها سوى القبور
منثورةً
تنقشها الرياح فوق الطين والصخور
بعدك كل شيء مُرّ
الناس والأشعار والحياه
وكل نغمة على سمائنا تمر
يا شاعر الثورة والمأساه

•

« لوركا »[1] هناك جثة بلا قبر
تمزق الحراب جسمه الصغير
وأنت يا أخا « لوركا »
هنا .. تقضي بنفس الخنجر الحقير
نفس الوجوه لو نظرت
نفس الكف والأجير

***

حين نزلت في (منفاك) كانت ذكرياتك الحزينه
واقفة تنوح
تطل من خصاص السطح للمدينه
لعل في جموعها تمر أو تلوح
حين رأتني أجهشت وأجهش المكان بالبكاء
قالت أحقاً مات ؟

---

(١) « فيديريكولوركا » شاعر الثورة والجمهورية الاسبانية قتله المرتزقة بالقرب من غرناطة عام ١٩٣٦ .

قلت : نعم وماتت الأشعار مات أنبل الاصوات
وكيف مات ؟ كيف أسلمته الأرض والجبال
قلت لها :
لا تسأليني كيف مات كيف استقبل المصير
لا أعرف القصة لا يعرفها الكثير
حتى « يهوذا » — ويله —
وشاربو نقيع الجثة العظيمه
عادوا .. فأخفوا قصة الجريمه
وأحرقوا الدماء والآثار
وأسدلوا الستار

★★★

يا شاعر الثورات
القافزون فوق الهوة السوداء
والسائرون الخلف للوراء

تبادلوا من حول قبرك الضحكات

لكنهم غداً سيعلمون أي نجم غاب

أي كتاب انطوى

حين يموج الغاب بالذئاب

ويكثر الأرباب

ويأكل الجراد الارض والإنسان والنبات

ويجمد الأذان في المحراب والصلاة

٣ أبريل ١٩٦٥

بكائية ثور في حلبة الصراع

بين ملايين العيون المطفأه

عيونكم يا أيها المهرجون

أموت كل يوم ميتة مجزأه

من أجلكم

من أجل ان تضحكون

وتشرق المشاعر المصدأه

وتومض العيون

عيونكم

يا ميتي العيون

★★★

ضميركم أنا ممدداً في الساح
تثخنه الجراح
ترقص فوق صدره النبال
وعند قلبه تزدحم النصال
فهللوا ..
ولترتمي جموعكم عالية النباح
حين يطل في ابتهال
من جرح ثور نازف سؤال
ويومض السلاح

★★★

يا فاقدي الشعور
لا أحداً من بينكم يحتج أو يثور

لا أحداً يهزه خواري الكسير

حبي ..

وعمري الصغير

لأنكم بلا شعور

فصفقوا للقاتل الجسور

وهللوا لمصرع الضمير

البرجوازي

احذروه .. هو مخلوق من الوهم مجازي
حية ضاحكة الاثواب تدعى البرجوازي
في الاسى ، في الحب ، في الدين انتهازي
ليس في قاموسه للحرب أهلي وغازي
لا ولا فرق لديه بـين ثوري ونازي
كلهم أحبابه ، أرقامـه ، حتى المخازي

★★★

ابحثوا عنه .. هنا كل الجرائم

هو في أعماقها كالظل جاثم

هو والاقطاع والموت توائم

أشعلوا في أرضنا نار المآتم

وبنوا من عرق الفلاح من عظم الجماجم

كل هذا الليل .. أبراج المظالم

★★★

احذروه ... إنه يبدو عطوفاً ورقيقاً

وهو قد يظهر أحياناً لأيام رفيقاً

ويناجي الله في صمت ويدعوه طليقاً

ثم لا يلبث كالشيطان ـ كفراً ـ ان يفيقا

فيبيع الله والانسان والحب العميقا

ثم يمضي يملأ السوق دخاناً وحريقا

★★★

رأسه ما رأسه ؟ من بنكنوت

عقله ينسج في الأسواق للمـال البيوت

ثم يطويها كما يطوي النسيج العنكبوت

عالميٌ .. كفه والغـة في كل قوت

وانعزاليٌ .. إذا هدده المـد صموت

إنه يحيـا مع المال .. وبالمال يموت

سبتمبر ١٩٦٣

حكاية مصلوب

يا شعبنا كلما ارتفعنا بك شبراً سقطت ذراعاً .
(الشهيد أحمد حسن الحورش في ميدان الاعدام)

اكرهكم

أكرهكم جميعا

الصيف ، والخريف ، والربيعا

صغاركم ـ أكره ـ والكبار

الليل ينكفيء ممدداً يلف الارض

أكره النهار

أكره هذه العمائم البيضاء
وهذه التي بلا عمائم
رؤوس هذه السوائم
أكرهها
أوسعها ، أوسعكم .. بغضاً

★★★

أحبكم الى نفسي هو الجلاد
هذا الذي جاء بكم وجاء بي الى الميدان
أوقفني أمامكم عريان
لتشهدوا نهايتي
لتسمعوا حكايتي
أنا الذي دعوتكم فما استمعتم النداء
ولم يعد من الكهوف قادماً ولو صدى
أنا الذي انزرعت بينكم كصيحة في واد
أحببتكم حب العجوز واحد الأولاد

فما أحس بي أحد

ولا رآني في طريقكم أحد

لا والد أعارني اهتمامه ولا ولد

فاختار لي جلادكم نهاية تليق بالأبطال

أتى بكم من الكهوف كالجرذان

لتشهدوا نهاية الرجال

نهاية الانسان

يا أيها الأنذال

نهاية الانسان

يا أيها الأنذال

يا جرذان

يونيو ١٩٦٨

الجلاء .، والشهداء

(في الذكرى الأولى لجلاء القوات البريطانية من عدن)

هذا هو الجلاء ..

فلتكتبوا على النجوم .. في السماء

قصته ُ

قصة زحفنا الطويل

لتكتبوا قصة كل الشهداء

لتحفروا على صحائف الاحداق .. في القلوب

حكاية الابطال في الجنوب

لكي تمدنا بالحب والضياء

لكي تظل في حياتنا .. أغنية انتصار

تحملها الجدات في غد

حفية التذكار من دار لدار

***

وحين نشرب الماء نقياً ، ننشق الهواء

حين نعانق الفجر نقبل المساء

حين نسير في شوارع المدينة

كل شوارع المدينة

فلا يردنا سلك ولا جدار

حين يعانق الصغار

ألعابهم في فرحة ، ويهتفون للخلاص

فلا يصدهم وغد.ولا يمر فوقهم سيل من الرصاص

حين يعود مبعد إلى الديار

حين نصير كلنا أحرار
لا بد أن نذكرهم
أن ننحني على قبورهم
أولئك الذين بالدماء
قد نسجوا تاريخنا المضاء
وأشعلوا أرواحهم في الطرقات ، في البيوت
من أجلنا ..
من أجل أن تحيا بلادنا فلا تموت
كانوا بداية النهار
علامة انتصار
على طريق الحب والامل
لثورة الإنسان والعمل

الحقيقـــة

تتبعت آثار أقدامها في المغارات
فوق المحيطات ، عبر جميع البلاد
سألت الملايين من عاشقيها
سألت الطيور التي رافقت رحلة السندباد
(عروسَ البحار) التي عذبت كل عصر
متى تمسح الرعب عن عصرنا والرماد ؟
(وعنقاؤنا) توأم المستحيل
أساطيرِ جيل تولى

وأحلام جيل

متى تمنح الحائرين على دربها موعداً باللقاء ؟

متى عن عيونِ الضحايا تشد الغطاء

توهمت يوماً بأني وصلت ..

تراءت لعيني عموداً من النور خلف ظلال المساء

على صفحات كتابٍ قديم

بعيني فتاة تصلي

بوجه دميم

بمنقار عصفورة تذرع الحقل

في دمع طفل يتيم

تقربت منها .. تلاشتْ

وعذبني هجرها المستديم

***

قطعتِ اليها بطونَ الليالي
وظهرَ الزمان
وفتشت عنها عيون النهار وقلب المكان
فلاحت على البعد لكنها كالشهاب
اختفت من جديد
فعدت كما كنت
عاد الشريد
وعمري قصير
ودربي اليها بعيدٌ بعيد

***

متى أشرب الكأس من كفها
أشرب النور من وجهها العبقري الصموت
أضاجعها مرة
أشربُ السم من ثغرها وأموت

مرثاة صديق حي

من ذا الذي يموت ولا يحمل معه إلى القبر
ولو ركله واحدة — من هدايا أصدقائه —
تيمون الأثيني

يرحمه الله

مات أخيراً .. من غير وفاه

لم يدفن بعدُ

وفي الاكفان تضيع خطاه

كان شجاعاً في وجه الامس

كان شعاعاً في قرص الشمس

لكن..

أدركه ذات مساء

ضعف الإنسان

وأخيراً كان

يرحمه الله

●

كل الاصحاب

كنا نقرأ بالامس كتاب

نذكر جيل الاحباب

نتوغل في الاحقاب

وسألنا عنه أطل جواب

ما زال يعيش على الاعتاب

يرحمه الله

●

حاولت أمر على قبره
– عفواً ... قصره –
الحشد كبير
الجمع غفير
كان يقبل ذيل الخنزير
يدخله في عينيه
يلويه على رأسه
يشرب أنخاباً من كأسه
يرقص كالقرد على حبل السرك الممتد
يتشقلب كالفأر الأرمد
فبكيت عليه
ومضيت أواري أحزاني

خلف الأبواب

في الكف تراب

في العين تراب

وعلى شفتي

يرحمه الله

يرحمه الله

ياليـــل

يا ليل أحرقنا الجماجم في الطريقِ الى الصباح

مـــا لحظة إلا وأشعلنـــا ملايـــين الجراح

لم يبق فِي أجفاننـــا نجم يضيء ولا سـلاح

ودياننـــا جفت فلا عشب هنـــاك ولا رياح

وظلامنـــا باق وأنت مسمر فوق البطـــاح

مات (الوشاح) فراعنا في كل منعطفٍ (وشاح)[1]

★★★

(١) الوشاح اسم (جلاد ملكي) أطلقه الاحرار على الامام .

يا ليل هل في أرضنا ، في شعبنا ، أبداً مقيمْ ؟
هل أنت أقوى من شموس العصر موصول السديم
أيامنـــا تمضي كأنا موثقون الى الجحيم
يتقيأ المـــاضي الدمامـــة فوق حاضرنا الدميم
وتلفنا يا ليل منك عبـــاءة العهـــد القديم
هزت مواجعنـــا الصخور وأنت مربـــدٌ بهيم



يا ليل خلف جراحنا وهمومنا يصحو النهـارْ
تتمرد الشمس الحزينـــة تصنع الصبحَ الشرار
يتغسل الاعصار والبركان في الدمع المثار
مهما طغت أشباحك السوداءُ . الوت بالديـــار
وبَنت جدارا من جماجمنـــا ترد به الدمـــار
لا أنت باقٍ أيهـــا الليل القـــديم ولا الجدار

اللغة الجديدة

ارفع حذاءك الثقيل
لم يعد أنفي مكانهُ
وجهي غدا بلا عينينْ
سحقتني
شطرتني نصفين
ألقيت بي الى قرار العار
أنهيت بيننا الحوار
ضاعفت عبء الدين

كشفت وجهك المعار

★★★

بالأمس كان السيف والسكين
وسيلة الحوار بين القصر والجمهور
واليوم صارت الحذاء
آمنت أن الارض لا تدور
ان سفينة الفضاء
خرافةٌ وزور
أن النعيم في الحياة والبقاء
للجبن والغباء

★★★

فعلموا أبناءكم يا أهلنا طقوس الجبن والخضوع
الانحناء والركوع

لكي تظل في أجسادهم رءوس

لكي تظل في رؤوسهم وجوه

لكي تظل في وجوههم أنوف

★★★

وأنت أيها المحاور العظيم

يا فارس الزمان والمكان

أطلق حذاءك القديم

مزق به وجوهنا

حطم به أنوفنا

على رءوسنا المرفوعة الهوان

أعد لها انحناءها

★★★

لن تغضب السدود ، لن تعارض الاكوان

فنحن سوقة ، جرذان

يا صاحب الحذاء .. يا سلطان

يا صاحب الحذاء .. يا سلطان

تحت قنديل أم هاشم

(إلى القاهرة .. المدينة .. الناس .. البطل)

يا أم النور « مدد »

يا مئذنة السارين « مدد »

لم يبق أحد...

ما عاد على درب القادين أحد

★★★

يا أخت الشهداء الثوار

يا أم ملايين الأحرار

بعضاً من زيت القنديل الأخضر

يحمله النيل ، يطير به فوق البحر الأحمر

يزرعه في الاجفان

يغسل منه الآذان

يمسح باب السجن وقلب السجان

يسأل بين جموع السلطان

عن إنسان إنسان

فلعل الفجر يعود

وأغاني الخصب تعود

ولعل رعود

تدوي في الأفق ، يهل مطر

ومن الصحراء يطل ثمر

ويرف زهر

ويهز جدار الليل قدر

★★★

يا ناسجة للفجر وللآمال ثياب

يا فاتحة الابواب

نحن الاغراب

تحت القنديل على الاعتاب

نقرأ سوره

نرسم صوره

نتملىٌ فى عينيك الطاهرتين ضحى الثوره

نسأل بعض البركات

بعض النفحات

قبساً من نور العصر ، وبعض حياة



يا زيت الامس وضوء اليوم وغد
« صرواح » يقول « مدد »
« بلقيس » تقول « مدد »
أفلا يرتاد الصمت أحد
ويشق ظلام الليل مدد

★★★

لا تدعينا لوحوش الرمل غذاء
لبقايا الكهف رداء
لطيور الليل حداء
إن كان لنا في الارض رجاء
فإلى عينيك نسوق رجاء
وإلى القنديل نشد دعاء
وعليك سلام الله
وعليك سلام الله

٢٩ نوفمبر ١٩٦٥

أحــلام

حلمت ذات يوم أن عالماً جديد

يخرج من هنا

من عالم الاسياد والعبيد

يمتـد ظله

على طريق عانق القمر

واحتضن الزهر

إنسانه السعيد

★★★

رحلت من شماله إلى الجنوب

عبرته شرقاً إلى الغروب

قبلت في رحابه الافواه والقلوب

وجدته أجمل موجود على الوجود

ليس بــه نقود

لا ، ظل للقيــود

ليس له حدود

أسواره الازهــار والشجر

وأغنيات العطر والنَهرْ

تنمو على جباله الالحان

وفي سهوبه يُعرشِ الامان

الخبز فيه بالمجان

والحب بالمجان

والمجد – كل المجد – للانسان

★★★

لكنني حين صحوت

يا لهول ما سمعت

يا لهول ما رأيت

سمعت من بعيد

بكاء شاعرٍ شهيد[1]

« لا تحلموا بعالمٍ جديد

فخلف كل قيصر يموت : قيصر جديد »

رأيت عكس ما تقوله الأحلام

رأيت ليلاً مثقل الخطى

يسهر في أحداقها ، ينام

يأكل ما تبقى في العظام

بعد ليل الرعب والظلام

★★★

(١) شهيد : شاهد .

يا ليتنا نعيش في أحلامنا . نموت

على جناحها الصموت

نعبر جسر الواقع الحزين

نهدم وجه العالم المهين

نبني على أنقاضه الأشعار والبيوت

٩ – ١ – ٦٨

---

(١) ما بين القوسين من ديوان «البكاء بين يدي زرقاء اليمامه» للشاعر الصديق أمل دنقل .

الى جنود وصفي التل

أكفكم على المسدسات

أعينكم على القصور والفلآت

آذانكم لا تسمع العدوّ ، ليس تسمع الدوي قادماً ولا الهزات

لكنها تسمع وقع النمل في بيوتنا ، تسجل الهمسات

لا تقرأون أبداً

لا تفتأون تبصقون وجه الفكر والكلمات

تحاسبون كل شاعر على أحزانه

تساومون كل ناطق على لسانهِ

تقدسون الصمت ، تعبدون الموت والأموات

★★★

عدونا

عدوكم يشرب فوق المسجد الأقصى

يبول فوق المئذنة

يصنع من سيوفكم ومن نجومكم

دمىً لأطفال القرى وأحصنة

وأنتمو يا للجحيم يا للعار

تفتشون في مخيمات اللاجئين

عن المناضلين

فتقتلون طفلاً ههنا

وتنسفون ههنا جدار

ومن جماجم النساء والشيوخ تصنعون

أحذية تقي أقدامكم لفح الهجير حين تهربون

★★★

أبغضكم .. وأبغض الثكنات

تلك التي تصدر الابطال في بلاد الآخرين

وفي بلادنا ..

تصدر الشوارب المفتولة الشعور والخوذات

راياتهم مرفوعة هناك فوق التل والبيوت

وأرضنا منكوسة الرايات

لأننا نبحث في الاغوار ، في المخيمات

عن بطل يريد أن يموت

عن ثائر أبصر فوق المسجد الاقصى ما ليس يبصرون

أحزنه أن يجد التراب .. الأهل .. والاجداد

في قبضة الجلاد

وأن يرى القادة يسرحون في البلاد
كأن شيئاً لم يتم لم تمت سينا ولا بغداد
فآثر الموت على الحياة ، اختار الاستشهاد

★★★

أكفكم على المسدسات
أصابع العدو في الزناد
أعينكم على الفدائيين
فأطلقوا النيران وحدوا الصفوف
وحدوا الجبهات
فشعبنا يعرفكم
أمتنا تعرفكم من حين
تعرفكم من يومها الخامس مهزومين فاشلين

رسالة الى عمر بن مزيقيا[1]

تحيرت ..

ثار ، تهشم فوق الحروف القلم

إلى أين يكتب ؟

أين مكانك يا « عمرو » بين الرمم ؟

وأين الديار التي اخترتها موطنا لك قبل انهيار الجدار

وقبل انفجار العَرِم

---

(١) عمرو بن مزيقيا حاكم يمني باع أمواله وفر من اليمن قبل انفجار سد مأرب المشهور .

وهل لك قبرٌ على الأرض ؟ أم لفظتك الرمال

لأنك خنت التراب

وخنت الرجال

أخذت نصيبك منها غداة الرحيل

غداة شربت دموع الضحايا

تسلمت أثمان كل النخيل

أما زلت في كل يوم تمزق حله[1]

وتلبس حلة

وكل مساء

تضاجع واحدة من بنات القبيلة

وتشرب يا « شهريار » دماء الجراح

فلا « شهر زاد » أطلت

---

(١) سمي مزيقيا لأنه كان يلبس كل يوم حلة جديدة ويمزقها .

ولا غاد وجه الصباح

★★★

يقولون : كان ذكياً

« طريفة »[1] قالت

فأخفى عن الشعب فحوى النبأ

وسل لسان « طريفة » بالسيف أعلن بين بنيه الخلاف

وباع على الشعب أملاكه باع كل الإماء

وسار شمالاً

فكان الدمار الذي منه خاف

وكان الفناء

وصرنا أيادي سبأ

★★★

---

(١) طريفة كاهنة معبد مأرب أنبأت عمرو بقرب وقوع الانفجار .

أيترك في غضبة الموج رب السفين السفينة

أيترك أطفاله والد ساعة الموت في لحظات الخطر؟

أتقبل أن تترك الأرض يا « عمرو »

تهجر عطر المدينة ؟

ودار الطفولة

أترضى وأنت الذي طمحت خيل اجداده لاحتلال القمر

وكانوا غناء البطولة

وعطر الرجوله

أترضى « لفأر » صغير

بأن يتحداك ، أن يهزم « السبائي » الشهير ؟

بأن يتقيأ أمعاءه في جبينك

يصول ويمرح خلف عيونك

ألا كنت مزقته بالحراب

ألا شُدت من « سباء » الف بوابة تحفظ السد

تمنع عنه الخراب

أتخشى منازلة « الفأر » يا سيد « الجنتين » الشجاع

ألا لعنتك الديار الغريقه

وما أبقت الريح بعد انطفاء الحريقه

ولا رف حولك يوماً شعاع

تظنك بالمال مال الحزانى الجياع

ستبني بعيداً منيف القصور

وفي البحر عند الشواطىء بين جموع الحسان

ستخلع جلدك تغرق همس الضمير

وصوت الزمان

توهم كما شئت سوف تظل الغريب

وطعم الرماد سيبقى على شفتيك

ولن تتذوق طعم الأمان

تمر ...

فتضحك منك الوجوه

وتهزأ منك الدروب

وأين ذهبت ، وحيث ارتحلت

تموت الغريب

وتحيا الغريب

وتدعى الغريب

★★★

لقد كنت يا « عمرو » لعنة أيامنا الخالية

وما زلت لعنة حاضرنا

ثم أيامنا الآتية

إذا ما ارتحلنا ذكرناك يا أول الراحلين

وحين نفر من الليل أنت الدليل المهين

وتحت المناجم عند ثلوج الشمال

رسمناك وجه غراب حزين

يتمتم كل مساء تعال

هنا العار والمال .. هيا تعال

تعال

تعال

تعال

عاش الشعب

من قصيدة طويلة ألقيت في المذياع
يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٦٢

١

وثأرتِ يا صنعاء رفعت رؤوسنا بعـد انكسارْ
أخرجت من ظلماتك الحبلى أعاصير النهـــار
وولدت هذا اليوم بعـــد ترقبٍ لك وانتظار
فـأتى كما شاءت إرادات المنى وهج انتظار

يومـــاً نقدسه ، ونرضعه أمانينــا الكبار

يومــاً سيبقى خــالد الساعات موصول الفخار

٢

سَلمت أيــاديهم بنـــاة الفجر عشاق الكرامه

الباذلين نفوسهم لله في (ليل القيامه)

وضعوا الرؤوس على الأكف ومزقوا وجه الإمامه

صنعوا ضحى (سبتمبر) الغالي لنهضتنا علامه

خرجوا فلم تيبس على أفواههم شمس ابتسامــه

يتمردون على الظلام ويبصقون هنــا نظامه

٣

أين القصور ؟ تناثرت رعبـــاً وألوان الرياش

أين الذين تـــألهوا سقطوا كما سقط الخفاش

في نارنا احترقوا كما احترقت على النار الفراش

. . . .

مات الطغـــاة الظالمون وشعبنا المظلوم عاش

صنعا ٢٩ ـ ٩ ـ ١٩٦٢

وجدتهـــا

إلى (ف.ع)الشعاع الذي أضاء
طريقي المعتم في أحلك السنين

نفاني ووحدني – في الجموع – الألم
سئمت السأم
حملت الصليب على كاهل مثقل بالندم
رحلت عن الناس،أصواتهم تزرع الرعب
ألفاظهم تتقيأ.. تجتر دم
وفي عالمٍ مفرغٍ كالعدم

وقفت أعانق حتفي

أواصل رحلة عمري بلا هدفٍ أو قرار

كأني سجين يريد الفرار

ويفزع من ليلهِ الموحش الجهم

يخشى سقوط النهار

حياتي هبا

وقلبي ينام كطفلٍ ضرير

إلى أن طلعت كفجرٍ، كزوبعةٍ من عبير

وعيناك شلال نور

مرايا غدير

ترشوش قلبي

تهز جدار القتامة في العين

تمحو بقايا الدمار

وتنثال كالعطر من فتحات النهار

فصرت كأني تغيرت ، جئت إلى عالمي من جديد

أحس الجدار يغني

وأسمع ، « سوناتة » في الحديد

عواء الكلاب نشيدْ

وصوت الغراب غناء

وهذا الظلام الذي كنت أهرب منه ضياء

وكل الذين أرامُ

ملائكة أنقياء

يصافحهم شوق قلبي

أعانقهم في انتشاء

★★★

بعينيك أبحرت حيث النهار العميق

تغسلت في مطر الحب
أشعلت في خشب الذكريات الحريق
وجدت الطريق الذي كنت أبحث عنه
وجدت الطريق

رحلة شمس

الرحلة قادمةٌ وقطار الفجر يسيرْ

لا تنكسري (صنعاء)

لا تجزع يا (نُقمُ) التحرير

النيل يطير

النيل إليك يطير

تحمله الشمس تطير به

فوق صحارى الليل العطشى

فوق حقول (البن) المهجور

لن يرجع ليلك يا (صنعاء)

ليل الأمس المقبور

الجيش القادم جيش صلاح الدين

مدى بكفيك هنا (الناصر)

قد عاد إلينا من (حطين)

★★★

الثورة صامدة ، والناس وأعلام الثوره

فوق القمم الأبطال

وخفاش الليل

الإنسان العوره

يرقص فوق الأوحال

مسكين لا يملك فكره

لم تنبت في عقله الأجدب زهره

العالم يصرخ للمريخ

يتجول في الزهره

يكتب فوق القمر التاريخ

وهو هنا في كهف الاوهام

يتردى بالأوهام

يكره أن يحيا في أرضٍ حره

★★★

يا رحلة شمس عربيه

عبرت شرقاً

طافت فوق بلادي

أفقاً أفقاً

عبرتها في ليلٍ شات

وجدت (بلقيس) اليمنيه

تبكي ..

تتلوى في سجن (القات)

يصلب عينيها جلاد عاتِ

مدت يدها

غسلت قدميها في البحر الاحمر

تركتْ في كل مكانٍ من وطني

قبراً

نجماً أسمر

ذكرى لعبور الحريه

يوليو ١٩٦٣

مرثاة شهيد

في جناز الملازم « حسين صالح الجريزع »
أول اسم يتصدر قاعة الشهداء اليمنيين صباح
الخامس من يونيو المظلم

معذرة

معذرة

يا صانع التاريخ والحياة

يا من وهبت لي

لجيلنا الإيمان والحياه

معذرة

إذا احتواني الصمت والسكوت

وغاض شعري يا بريق الشعر يا سناه

فانني أقسمت أن أموت

في دربك .. المبدأ .. والصلاه

ولن يكون الشعر من بواتري

فالقدم الثابت فوق الرمل والصخور

أشرف من جبين ألف شاعرٍ

والجرح تحت الشمس يغلي فوق صدر ثائر

ملحمة الأيام والعصور



فلتخرس الأقلام والشفاه

فهاهنا ينتصب الإله

٧ – ٧ – ١٩٦٧

الموت

نحن هنا في قسوةٍ نموت

وكل ما في عصرنا من فرحٍ من أملٍ يموت

الحب مات

واختفت بقية الأسماء والنعوت

حتى الظلال فوق عتمة الاحياء والبيوت

ماتت

وجف سائل الالوان والزيوت

الضجة التي كانت هنا بالامس

لفها صقيع الموت والسكوت

★★★

لم يبقَ حياً غيرنا

أنا

قصيدتي

وحزني الصموت

يا ليت سرب عنكبوت

ينسج حولنا شباكه

كي لا يرانا الموت أحياءً

فلا نموت

بيروت ١٠ ـ ٦٥

الفدائي .. الحلم .. والانسان

يا فارس الاغوار والتلال

يا أنت يابن الشمس والجبال

تباركت يداك

تباركت مأساتك العظيمه

كم صنعت في شعبنا من الرجال

في لحظات النصر والهلاك

كم فضحت من أوجهٍ أثيمه

تعيش في مستنقع الاوحال

وتدعي بأنها وجوه السادة الابطال

●

يا فارس النهار والمساء
قبلك لم تكن لنا هوية ولا أسماء
نمشي بها في الارض ،
ندخل السماء
قبلك ما كانت لنا قضية
كنا نعيش في حظائر الملوك
كأننا سفر من العبيد
يبيعنا القواد والصعلوك
من المحيط للخليج
يبيع ما في أرضنا من القديم والجديد
يبيع حتى الله والزمن

الشمس والكعبة والحجيج

ويقبض الثمن

●

نحن هنا، في أرضنا المنفى

لم نترك التوابيت ولم نغادر القبور

إلا على صوت (براقك) الذي يثور

فيوقظ الموتى

ويعلن النشور

الانعتاق والإسرا

لجيلنا ..

لكل شعبنا الصبور

●

لو لم تكن نبي هذا العصر حامل البشارة الكبيره

فمن إذن تكون ؟

من معجزاتك الكثيرةِ الكثيرة

إنك لا تموت

كطائر الفينيق لا تموت

تحرق في الفضاء ، عند النهر ، في البحار

ثم تغادر الرماد

هازئاً بالنار

فليقتلوك عند القدس في « عمّان »

على الهضاب الخضر ،

في « بيسان »

وليجمعوا شباكهم

فأنت أقوى ألف مره

منهم .. من النيران

من خدم اليهود ، والسلطان

من ألف أعور « دَيّان »

يا حلمنا الكبير .. يا إنسان

شجن ..

مبتلة روحي ،

كطائر ألقت به الرياح للعراء

في ليلة حزينة المطر

لا تسمع الرياح صوتهُ ، لا تسمع الظلماء

ولا تمد كفها رفقاً به الشجر

أبحث في ملايين الوجوه عن عينين

نبيتين

عن مرفاءٍ آوي اليه قبل أن يعود من رحلته الشتاء
محملاً بالثلج والصقيع
يمشي على جنازة الأضواء
يدوس وجه الزهر والربيع

●

أغمضت عيني كنت في يدي
وكانت الارض معي وكانت الانهار
والشمس والاقمار
تغسلني من الداخل
تغسل الوجوم في العيون
تغسل وجه الليل والنهار
حين فتحتها كان الفراغ قاتماً
وكان كفي خاوياً .. وكانت الديار .

الله كان ـ حين كنت ـ موجوداً
وكانت الفراشات تزين الحقول والجبال
الزهر لم يكن حزيناً
والطريق لم تكن حزينة ولا التلال
ولم تكن دميمة وجوه الليل والرجال

●

فكيف صارت الاشياء في عيوننا قبيحة دكناء
ولم تعد تضحك في وجوهنا المدينه
ولا حوائط المنازل البيضاء
شباك دارنا الحزينه
أصبح دائم البكاء
لأننا خسرنا كل فرحة ثمينه
حين خسرنا الحب واللقاء

بجماليون

من وحي حادث « كوافير » مشهور

لا تصلبوه ..

الخالق الذي أحب ما خلق

بكفهِ سوّى الجبين الذهبي والحدق

لا تصلبوه ..

•

ذات مساء

جاءت إليه قطعةٌ صامتة خرساءْ

ألقى اليها روحه

فانتفضتْ

تكلمتْ

تفتح الورد على الرخام

تفتح الزيتون

زوجا حمام

طارا من القميص الأخضر المفتون

فحلقت خلفها العيون

حلقت الاحلام

وطارت الظنونِ

●

لا تصلبوه

إن كان قد أخطأ كفهُ

فامتد جائعاً الى الثمر

فهو الذي أمدها باللون والألق

ولون الجبال حولها

ولوّن الشفق

وهو الذي أدار نحوها الأعناق والوجوه

فكيف من ثمارهِ

من بعض ما أعطت يداه

تحاولون ، ويحكم أن تحرموه

•

لا تصلبوه .

أزميله والبهو والألوان

جُنت بها

فكيف لا تُجن الكفُ

لا تجن العين.. والفنان

قبلة إلى بكين

متى أمر تحت قوس النصر في ساحتك الحمراء
أرسم قبلة على الجبين
جبينك الأخضر يا بكين
أطلق باسم اليمن الخضراء
حمامة بيضاء

●

متى أسير لو أمتار

في الدرب حيث سارت رحلة النهار
رحلة « ماو » والرجال والأنصار
رحلة كل الطيبين
متى ؟
متى أراك يا بكين ؟

●

منذ قرأت أول الحروف
وبي إليك يا أماه
حنين طفلٍ تاه
أضاعِ أمهُ على طريق الوحشة المخوف
وبعدها أباه
ولم يعد ما زال تائهاً تسحقه الظروف
حتى تراكِ مرةً عيناه

●

بكين

رغم البعد بيننا يا واحتي الأثيره

فإننا على لقاء

مشاعل المسيرة الكبيره

في ليلنا الضرير

كانت لنا ، للزاحفين الشعلة الرجا

الأمل الكبير

●

حين صلبنا ذات ليلة « نمارة الورق »

كانت عيونك الشرقية الخضرا

تطل من كوى الغسق

ترقب كيف تصنع الشعوب فجرها

تنقش في جبالنا الكالحة الصما

أول خيط في طريق النصر والفلق

واليوم في مدينتي تحتضن السحاب

يحتضن الألق

مئذنة شماء

تكتب بالدخان بالعرق

قصتك الرائعة الرنين

قصة حب لا يضيع ، لا يموت يا بكين

من عذابات محمد

بظلِ الجدارْ

توقف يمسح أقدامهُ من سخي الدماء

ويسكب دمعة حزن على قومهِ

ينحني في انكسار

وأرسل عينيه نحو السماء

فأجهشت الشمس ، أظلم وجه النهار

وأنصتت الأرضْ كي تشرب النور

تشرب نهر الدعاء

وفي غمرة النور أقبل كالليل رب الجدار

وألقى عليه الحجارة

أبعده عن مسار الظلال

ومن حول (رب الجدار) الضحايا

مسوخ الرجال

يحيطون سيدهم في انبهار

●

تعثّر ، سار (الغريب) يميناً

شمالاً وأقدامه العاريات

تنز دماً

عينه ترسم الظل في ملكوت السما

ومن حوله يلتظي الكون تحترق الكائنات

بكى الظل أوشك يمشي إليه
ليمنع عنه انتقام الهجير
تمنى لو استطاع أن يلعق القصر
أن يمسخ الأغنياء وكل رجال الغنى الحقير
أعاد « الغريب » إلى الأرض عينيه
سمرها فوق نار التراب
– هم الأغنياء ...
لعنة العصر – كانوا –
ولعنة كل العصور

سنحرق عالمهم
سوف نمنعهم من دخول السما
سنجعل من شرفات القصور
سجونا لأحلامهم وقبور

سنصهر فضتهم والذهب .

سنصهرها في جحيم الغضب

ونسكبها في الرؤوس العنيده

وفوق العيون البليده

سنشعلها ثورةً لن تنام

ونجعلها للملايين أنشوده وعقيده

ومن ظلمة الكوخ من عتبات الخيام

ستمتد خيمة ظل حنون

سيمتد فجر السلام

ستهدأ بعد الهجير القلوب الجريحات

تهدأ بعد الظلام العيون

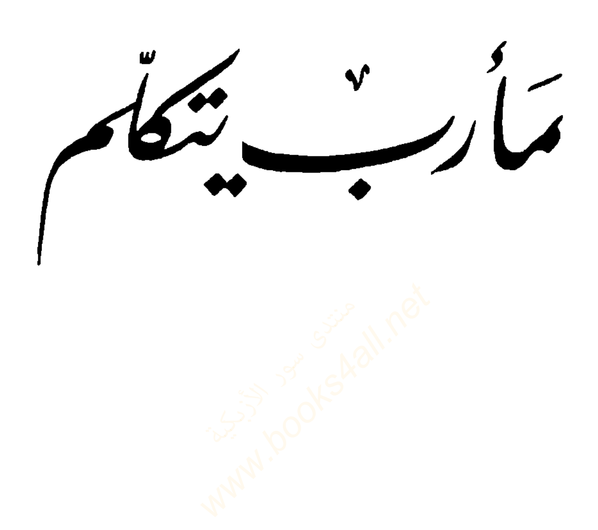
●

وغاب « الغريب » وأقدامه العاريات

تنز دماً

عينه لم تزل في السما

وفي ظله ينعم الكون ترتعش الكائنات


مأرب يتكلّم

مأرب .. والفأر .. والانسان

حين دخلتها

حين وقفت تحت المعبد المكسور

لكم تمنيت لو ان الأرض لا تدور

لكم تمنيت لو ان الشمس في « مأرب »

مطفأة الشعاع

لو ان جيلنا قد كان مفقوء العيون

فلا يرى أجسادنا

عاريةً يمتصها الضياع

والآخرون ..

هناك ، حولنا

وفوقنا ،

في البحر ، في الفضاء ، في التخوم

مسافرون

شدوا رحالهم إلى القمر

أعطت لهم قيادها النجوم

ونحن فوق الرمل ، مصلوبون جامدون

نلهث حيث لا ماءَ ولا شجر

نشرب من دماء بعضنا

نأكل من لحوم أمهاتنا وأهلنا

تقيحت أفكارنا ، تقيح النهار

على جدار سدنا المنهار

ومنذ هاجرت رجاله

وودعت حزينةً ديارها

في رحلة بلا قرار

ونحن تائهو الخطى

يقودنا فأرٌ

ويستبيح عرضنا والوطنَ الجريح فار

وقومنا بلا عيون

مثل جذوع النخل منخورون

صابرون
نقبل السيف الذي يذبحنا
ونعبد الجزار

●

لكم تمنيت لو ان (سيلاً عرماً) يمر من هنا

يزورنا للمرة الأخرى

يحمل ما تبقى من نخيل
يسوق مشفقاً
ما أبقت الأيام من رجال
ويغسل الجبال من أحزانها
ويغرق الأطلال

●

لكم تمنيت لو أننا توقفنا عن الحياة من زمان
لو ارتضينا أن نعيش في « القرآن »
أسطورة جميلة
قصةَ سدٍ حوله تقوم جنتان
عن اليمين والشمال
لكان أحنى
بالحجارة البادية الوجوم ، بالرمال

لما تخطتنا رياح العصر

كنا في متاحف الآثار

حكاية ما فقأت عيونها الجرذان

ولا بكى من أجلها

ولا اشتكى ضياعها وصمتها إنسان

الماضي .. والاصدقاء

اللهم احمني من أصدقائي أما أعدائي فأنا كفيل بهم

لا تلتفتْ للخلف

لن ترى سوى الأشلاء

منثورة على طريق الأمس في العراء

أشلاء حبٍ غارقٍ قديم

أشلاء أحلامٍ تحطمت

أشلاء آلافٍ من الأحباب ، أصدقاء

خانوك أغمدوا في القلب ، في الصميم

خناجر الوفاء

« بروتس » الشهير واحدٌ من الرفاق

قد كان يرتدي عباءة النفاق

وذات يومٍ حالكٍ دميم

حاول أن يسرق قلبك الجريح ساعة العناق

●

لا تلتفتْ

طريقك التي قطعتها مقابرٌ ، جثثْ

تحكي على الأيام ما حدث

كل الذي صنعته

كل الذي عرفته ، أحببته عبث

حتى حبيبك الذي منحته الشباب

سكبت في عينيه فجر العمر

كان الفصل والعنوان في الكتاب

هذا الحبيب في الزحام غاب

جئته هناك ملقاة على الطريق

تبحث عن صديق

والاصدقاء ميتون

ماتت قلوبهم .وماتت العيون

لم يبق غير أشباحٍ على طريق الوهم

أشباحٍ من الظنون

●

لا تلتفت ...

فربما أهرقت ما أبقت لك الأيام من دموع

خسرت ما أبقت من الرشاد

حين ترى الشموس والأقمار والشموع

صارت .. تحولت إلى رماد

يونيو ١٩٦٨

الام الميتة.. والوضع الكبار

مذبوحة على طريقكم .. مقطوعة اليدين .والأثداء

مفقوءة العينين

لا لبناً أبقت لها سنينكم .. لا ماء

فما الذي تفتشون عنه'

تمتصون في الثديين ؟

حتى الدماء ترضعون ؟

حتى الدموع تشربون ؟

لا شبعت بطونكم ولا الامعاء

ولا ارتوت عيونكم يا أنذل الابناء

وأنت أيها المراهق العجوز

يا أيها الشيخ الرضيع

منذ بقرتم بطن أمكم في زمن المجاعة الاسود

لم تنزل الامطار في دياركم ولا الربيع

ولم يغب عنا نهار المحنة الانكد

●

لترفعوا أيديكم

لترفعوا شفاهكم عن الميْتَهْ

عار على (الذقون) أي عار

ليلتزم كل رضيع منكمو بيته

يا أيها الاطفال ، يا كبار

فربما عادت لها الحياه

وربما سالت على جبالها الامطار

وجاء بعدكم جيل مطهر الاكف والجباه

١٩ يوليو ١٩٧٠

عدن .. ودونكيشوت

في بيروت من عامين أعلن « سلطان السلاطين »
أنه في طريقه الى عدن على رأس حملة تأديبية
« لحكومة الشباب » هناك .

بعيدةٌ

بعيدة عدنْ

الشمس يا ملوث اليدين .

يا ملوث الأفكار والبدن

أقرب من عدن

فاركب حصانك الهزيل شد سيفك المكسور

حلق وراء .. خارج الزمن

فتش لأحلامك يا مأفون عن قبور

فتش لأوهامك عن وطن

●

كم مر من هنا مخبول

كم دق في حدودها الطبول

وعاد خائباً يبكي خياله المهزوم

يبكي انتصاره المهزوم

تناثرت ..

تمزقت طبوله تحت حوافر الخيول

وقبل أن تبدأ لحظة الهجوم

كان غريقاً يشرب الدماء والوحول

●

عدن ..

بعيدة المنال

أبعد أن تلمسها

أبعد أن تنال

لمن إذن تلملم الحشود

تضاجع الاوهام والخيال

توزع الاكفان للجنود

تبيع أحلامك في الصحراء للقرود ؟

لمن تمارس التهريج ، تسترضي قصور الوهم والرمال

تقدم القربان راكعاً

أمام عرش النفط والنقود

لمن أخا الأوهام والخيال ،

تقدم السجود ؟

●

ما كل ما تريده يكون

وأي شيء قد أردته فكان ؟

تاريخك الجديد والقديم

مقبرة للخزي والهوان

وحيثما ذهبت بائعاً وراكعاً تهون

تسخر منك الكلمات في اللسان

والنظرات في العيون

حتى المنافقون

أتباعك المنافقون ،

حين يشاهدون وجهك القبيح يخجلون

فينفخون في الهواء

وينفثون من سيجارهم سيلاً من الدخان

ليختفي وراءه تمثالك الجبان

•

خفف على حصانك الهزيل ،

دونكيشوت

أغمد حسامك الكسير

أعد رجالنا ، اطفالنا إلى البيوت

مزقْ طموحك الحقير

فكم لبسنا من يديك ثوب العار

وكم شربنا نخبك المرير

يكاد فجرنا على يديك أن يموت

جبالنا توشك أن تطير

وأنت في برلين في بيروت

تبيع ما تبقى

تشتري اللذات للأمير

تعد للتحرير

●

بعيدةٌ

بعيدة عدن

قلوبنا من حولها ، عيوننا أسوار

من أفقها يطل كالعملاق (ذو يزن)

يحرس يومها الكبير

يدير وجهها للشمس للنهار

يحفظها من نفسها ، من خصمها ، من الزمن

يوقد في المصابيح جديد النار

فأين دونكيشوت وجه العار

منه .. ومن عدن

صورة لطاغية

لا أسميهِ فأنتم تعرفونه
كل يوم فوق أجفان الضحايا تقرأونه
في المقاهي تبصقونه
في الزوايا ..
عند أكواخ اليتامى تلعنونه
أنه أشهر من تاجر في سوق العبيد
في بلادي حيث يبدي ويعيد
حيث لا شيء جديد
حيث لا شيء يفيد

●

لا أسميه فهذا وجهه ملتصق في كل حارهْ
يمنح الناس شعاره
ماهر في الكيد فحل في الدعاره
وأفانين الشطاره
والتجاره

●

لا أسميه على أفواهكم ينضح مُره
وعلى أجفانكم يرقد شره
شعبكم شعبٌ له، والعصر عصره
وكبير الأمر في عالمكم يا قوم أمره
قوله عدل وحكمه
ظلمه رفق ورحمه
عهده خصب ونعمه

هل عرفتم بعدُ اسمه ؟

●

يا عبيداً ..

لم يعد في عالم اليوم عبيدْ

حطموا ليل التفاهات البليد

غادروا أقبية الرعب المبيد

حدقوا للشمس ..

شدوها من الأفق البعيد

ازرعوها في العيون

في حنايا وطن الأمس السعيد

انزلوا آلهة الجدب العقيمه

بعثروا أيامها ..

هزوا لياليها الدميمه

مزقوا وجه الجريمه

اقلعوا أشجارها الصفر

أفيقي

يا بقايا أمةٍ كانت عظيمه

صنعاء ١٩٦١

الى أين يا شاعر الارض المحتلـــة ؟

الى الشاعر الفلسطيني محمود درويش

الارض لم تزل محتلة .. والدارْ
على سرير العار
تنام تصحو أَمةً
مهتوكة الإزار
كيف هجرتها .. وجئت نحونا ؟
كيف قبلت أن تموت مثلنا ؟
كيف ارتضيت أن تغمد في عيوننا القلم ؟

أن تنزع الخنجر من قرارة السجان

أن تهجر الأحزان

أن تستعيض بالجبال .. بالحقول

بالشمس .. بالسهول

بدورة الفصول

بطاقة ً ككسرة من خبزنا القديم

كقشرةٍ من تيننا العقيم

كيف تركتها وحيدة في السجن

يا رفيق سجنها ؟

من سيغني كبرياء حزنها

وفي الشتاء ..

من سيذوق دفء حضنها

●

قالوا لنا

أن تلعن القرود عند غابة القرود

أن تبصق اليهود في مدينة اليهود

تلك هي الشجاعه

أن تكتب الاشعار بالدماء

أن تحفر الافكار في النجوم ،

في السماء

تلك هي الاشعار

تلك هي الافكار

لا الزمن العاتي ، ولا الامطار

لا الريح لا الأعصار

تمسح من قصيدة الدماء

حرفاً عتيقاً خالداً كالنار

●

وكنتَ ذلك الذي وعى ما قيل

صلبتها ..

صلبت اسرائيل

في قومها .. في دارنا المغتصبه

في المعبد المكسور

أمام كل العور

ولم تخف

كنت شعار الجيل

ابناً لأمنا المغصوبه المنتحبه

●

حين أتى عبر الظلام المر صوتك الحزين

لكم شربنا فيه صوتها

لكم تحسسنا عليه جرحها

يفجر التذكار والحنين

يصيح في المهاجرين

لا ..

لا تصدقوا أنباء َصلبها

فهي بصحةٍ يندلق الشباب

ينكسر الضباب

على جبينها الحزين

ما زال في أحشائها من لحمكم جنين

يوماً سيصنع الأعصار والنهار

سيحرق المأساة والملهاة والستار

سيحرق الممثلين

●

فكيف جئت ؟

ما الذي تبحث عنه بيننا ؟

وما الذي تريده هنا ؟

أكنت مهزوماً هناك ؟

نحن مع المهزوم خبزنا ودمعنا

وشوقنا الجريح

لو لم يمت على صليبه المسيح

لو لم تزين هامة البطل

أيقونة العُليّق

ما عرفت روما قداسة الحريق

ولا مشينا خلفه حين رحل

ولم تسر تلك الحشود في ركابه

ولم تقف حزينة جموعنا ببابه

تطلب أن يبقى مكانه

وان يظل

●

نحن مع الذين في الحريق في الآلام

أكبادهم تئز .. تشتوي
أحداقهم مفقوءة لا تعرف المنام
مع الذين في السجون
مع الذين يصلبون
مع الضحايا حيثما كانوا
وحيث يذهبون

١٩ - ٢ - ١٩٧١

العيـد

وككل يوم مر يوم العيـــدِ

متعثر الخطوات غـــير جديد

متـورم القسمات ينعي نفسه

في طبله المتـــأوه المكدود

ويمر من حول المدائن والقرى

مر الغريب الآثم المطرود

●

(وطني أسفت عليك في عيد الملا

وبكيت) من هم ومن تسهيد

(لا عيد لي حتى أراك) بثورة

حمراء عاصفة من التجديد

أيكون عيد والمشانق هاهنـــا

والناس بين مكبل وشريد ؟

في كل عام يشهدون مجاعة

وبكل يوم مصرع لشهيد

●

وطني وجرحك نازف متقيح

وبنوك في شغل عن التضميد

(ذهب الكرام الجامعون لأمرهم
وبقيتَ) بين سوائم وعبيد[1]

مايو ١٩٦١

---

(١) الشطور بين الأقواس من ابيات مشهورة للشاعر اسماعيل صبري .

مشهد من فصل

سفير واق الواق يقدم أوراق اعتماده
الى بلاط صاحب الجلالة ملك السند

١

(في قاعة مجلس وزراء واق الواق)

رئيس الحكومة

ما رأيكم ؟ ما رأيكم يا ساده
في صاحب السعاده (. . .)
لقد رأيت أن أختاره ممثلاً لنا

لدى بلاط صاحب الجلالة (...)

لما وجدت عنـــده من اللباقه

ومـــا رأيت فيه من رشاقـــه

لا شك انــكم ستقبلون

الوزراء

موافقون

لصوت

منافقون ...

ئيس الحكومة

ماذا ترددون

وزراء

موافقون .. موافقون

لأنه يجيد الرقص .. يعرف الشوارع الخلفيه

ويعرف المقاصف الليليه

يعرف كيف يرفع الكأس

وكيف يمسك السيجارة

كيف ينام فوق مكتب السفارة

الصوت

أنعم به ممثلاً ... للنوم والدعارة

رئيس الحكومة

أشكركم ...

لقد عرفت كيف أختـــار الرجال للمناصب

وكيف أحمل الأعباء والمتاعب

الصوت

ماذا عن اللغه ؟

الوزراء

يجيدها يجيد لغتين أو أكثر

احداهما ليليه

ينطقها همساً على الفراش

وحـــين يصحو ينطق الأخرى مع السائق

والفرّاش

ليس بحاجة إلى مترجمين

لأنه يحفظ جيداً (آمين)

الصوت

الله ما أبرع جوقة المنافقين

٢

« في بلاط صاحب الجلالة ملك السند »

الملك

أين هي الأوراق ؟

السفير

أوراق من يا صاحب الجلالة

الملك

أوراق الاعتماد

السفير

ليس معي أوراق

لعلها هناك في البلاد

وربما نسيتها لدى الحلاق

« يدخل حارس الملك وفي يده خطاب من ثلاث ورقات »

الحارس

مولاي

الملك

. . .

الحارس

لقد وجدنا عند مدخل المدينه
هذه الاوراق
مفتوحة مهينـــه
في مشربٍ ليلي
ألقى بها مغامر أفـّاق
في الطابق الصخري

« يأخذ الملك الخطاب، يقرأ الورقة الأولى ثم يلتفت إلى السفير »

الملك

هذي إذن هي الأوراق
أأنت مثلما يقول عنك دولة الصديق (...)
أفضل من ترسل واق الواق
كيف ترى أمورنا هنا ؟

بأي مستوى تريد أن تكون بيننا العلاقه ؟

وما الذي تريد أن يشمله الميثاق

ميثاق دولتينا الحرة العملاقه ؟

ماذا عن الحرب .. عن الجياع ؟

ماذا عن القتلى . عن المناضلين

ماذا عن الغد القادم والضياع ؟

ماذا ترى في كل هذه الأمور ؟

سعادة السفير ؟

السفير

أرى بأن تبلغوا فوراً بيوت الليل والحانات

وشرطة المساء والعسس

أن يغمضوا الأعين عن نشاطنا اليومي

أن يكتموا الغارات

فهم كما علمت لا يغادرون همسة ولا نفس

ولا يجيزون المبيت في البارات
كما أرى الايباح للصحف
نشر تنقلاتنا الرسمية
فانه جداً مخل بالشرف
وسوف نضطر إلى التهريب
فلا تظنوا فعلنا
لوناً من العدوان نحوكم أو التخريب

الملك

لا خوف يا سعادة السفير
لأن شعبكم قد أغمض العينين
وأقفل الأذنين
وضاع في بنيه الرشد والضمير
سنغمض العيون نحن عن غاراتك الليليه
ونأمر الشرطة والحراس

أن يسهروا على مصالح العلاقتين (السند —
واق واقيه)

ويمنحوا جنابكم
ما لا يجوز أن يخطر في عقول الناس
فالتبدأوا الآن المهمة الرسميه

٣

الصوت

مسكينة بلاد واق الواقْ
تخرج من ليلٍ إلى ليلٍ
تدوس أفاقاً إلى أفاقْ
تفر من سجنٍ إلى سجنٍ
من قيد إخفاقٍ إلى إخفاق

نوفمبر ١٩٦٧

الصوت ... والصدى

في الذكرى العشرين للنكبة

الصوت

عشرون عاماً لم أنمْ

عيناي جثتان ينهش الظلام فيهما

وينخر الألم

حنجرتي مقطوعةٌ، صرت بغير فمْ

صرختُ

مات الصوت في الأعماق

الريح حولي ترسم الإخفاق

تأكل ما تبقى من حروف الامل القديمِ

والأشواق

•

الصدى

و « سالومي » تغني في ملاهي القدس

تنشر لحمها في المسجد الاقصى

وتطلب كل رأسٍ راكع فيهِ

لترفع عالياً من حائط المبكى

•

الصوت

على سريري كل ليلةٍ يضطجعُ الاغراب

في جسدي يرقد ليل الحقد ،

تنهش الذئاب

وتختفي الخناجر

وتنطفي كل مساء لذة الشيطان .. والسجائر

بغداد في صمت ومثلها الجزائر

انتحرت في مكة المنائر

والليل يمضي مثقلاً

والنجم فوق شاطىء العبور ساخر

الصدى

(يهوذا) في القصور .. على مكبرات الصوت

ينادي يا لهول العار

وحين تضج معركة

ينام مسلماً إخوانه للموت

●

الصوت

عشرون عاماً وأنا مصلوبة على طريق الليل والنهار

أهلي بلا مأوى

وأبنائي بلا ديار

الريح والصقيع .. دار

وخيمةٌ من الدموع والأشعار

كم حفروا إلى سجني طريقهم

كم حفروا جدار

تسلخت أقدامُهم فوق الصخور ذابت الاظفار

وهم على الطريق في إصراري

متى اضمهم إلى صدري ؟

متى أطفي بهم سعير النار ؟

●

تقول « سدوم » أن ربيعها قد عاد

وأن مقابر الأجداد

سترجع مرة أخرى

لِتُفرغ حقدها في سوأة الأحفاد

مأرب يتكلم

أهرام مصر بعد رحلة الصمت الحزين

ثارتْ

تكلمت على شواطىء السنين

حتى أبو (الهول) الصموت

آثر أن يمزق الستار

تدحرجت من فمه الأحجارْ

ألقى بصمته للرمل والرياح

أطلق للحنجرة السجينة الجناح

وحوله ُ

تكلمت أحجار بعلبك

وصوت أوراس المظيم

يهز جدران النجوم

يدق أبواب الفلك

و « تدمر »[1] الصامتة الرمال والأحجار

تذبح صمتها

تطعِمه ُ للنار

تنشب في جدرانه الأظفار

و « نينوى »[2]

وكل صامتٍ ، تكلما

لم يبق غيري صامتاً

(١) « تدمر » مدينة أثرية في الشمال الشرقي من دمشق .

(٢) نينوى مدينة أثرية في العراق عاصمة بلاد آشور القديمة .

على طريق العصر واجماً

جذور صمتي اللعين

أنبتت السجون والجماجما

وها أنا

بموجة النيران والدماء

غسلت وجهيَ الحزين

مزقت وجه الصمت والعدم

أطلقتها من قبضة الألم

أرسلتها حزينة النغم

•

هل تسمعين : هذه الصخور

صوت الذي يثور

صوت الذي يغادر القبور

صوت الذي يَعبرُ جسر الصمت والوجوم

يجرب التحليق والكلام

يزرع في الخرائب الشاحبة الرسوم

بعض زهور الحب والسلام

الى السلاح .. أيها المواطنون

(إلى أبطال المقاومة والصمود
في حصار السبعين)

إلى السلاحْ

إلى السلاح

دوى النفيرْ

انتشرت على جوانب الشمس الجراح

يكاد يلفظ الأنفاس

يختفي تحت العباءةِ الصباح

فقاتلوا ...

(أيلولكم) مجنونةٌ من حوله الرياح

المجد للأحرار ...

للمقاتلين ...

الموت (للوشاح)

الموت (للوشاح)

●

(جنكيز خان) والمغول قادمون

الأهل والديار والبنون

غداً سيعدمون

ان لم نعد السور والخنادق

ونشرع البنادق

سترتدي المدينة السواد

ستغرق النساء في الحداد

سيرجع الفساد

الليل ، والارهاب ، والسجون

سيرجعون

ان لم نقف على الابواب ، في الجبال ، في المداخل

نقطع رأس كل حيّةٍ على حدودنا

نحفظ للبلاد فجرها .. نقاتل

نكتب بالدماء ، بالجراح

وثيقة الصباح

إلى السلاح

إلى السلاح

●

يا أيها الرجال .. يا ضمير شعبنا العظيم

يا حاملي رءوسكم على الاكف في تصميم

يا من تقاتلون في الجحيم

أنتم نهار الشمس في العيون

ولن تهون أمةٌ، أنتم بنوها

لن تهون

تاريخنا أمانةٌ على أعناقكم والغد

أطفالنا .. أكف أمهاتنا إلى سمائكم تمتد

لا تجعلوها – يا شموسنا – خائبة ترتد

ردوا جحافل الأعداء

لا تُغمِضوا أعينكم

شدوا على جموعهم شداً

فأنتم اليوم الذي يصولُ

أنتم الغد الذي يثور لن يهدأ

وأنتم السلام والكفاحُ،

إلى السلاح

إلى السلاح

يناير ١٩٦٧

تأملات حزينه فيما حدث

حزينٌ أنا . والنهارْ

وشباك نافذتي .. والجدارْ

وصورتها .. يوشك الحزن يذبح قلب الإطار

كتابي حزين .. وهذا القلم

وعصفورة خلف بابي تلهث في ألم

وأشجار حارتنا والكلاب حزينهْ

ووجه المدينة

وفي الافق غيمةُ حزنٍ ترش الفضاء

بعد مشانقها للنجوم

تنقر وجه الضياء

نهاراً – يقولون – لكنه كالمساء

●

هناك على شارع الشمس حيث ظلام الصدى

يداعب قطتنا

يحفر الليل في الحائط الارمدِ

لتدفن في ظله الاسود

بنيها .. وتأكلهم ساعة المولد

هناك ..

قلوبٌ كسيرهْ

عيون كثيره

تحدق في ثورةٍ عاصفه

ولكنها واقفه

وأقدامها راجفه

تريد لتمشي

لتصنع شيئاً ولكنها خائفه

●

وفي حيّنا ...

يرتدي الناس أحزانهم ثم لا يهجرون البيوت

يظلون فيها عرايا كما العنكبوت

لتغزل أحزانهم نسجها الدائري

وتهدمه في انفجارِ صموت

موائدهم مثقلاتٌ ولكنهم دون قوتْ

لأن الصباح على كل عين

وفي كل باب يموت

●

كرهتكِ نفسي

كرهت الحروف التي غرقت في الدماء

كرهت الجبال ،

كرهت السهول ووجه السماء

كرهت الخناجر تهتف ظامئةً للظما

كرهت البصيرة مفتوحة

وكرهت العمى

أنأكل أنفسنا في المدينهْ

ومن حول أسوارها تتمطى العيون اللعينه ؟

أنشحذ للأقربين الخناجر

ونزرع فوق البيوت المقابر

ونصلب أحلامنا في سكينه

وأعداؤنا يسلبون الديار

شموع النهار

أقول لكم إننا تافهون

وإن مدافعنا كالقلوب جبانه

نوجهها حيث يحتشد الظالمون

فترجع خائبةً ومهانهْ

لتحصدنا ..

لتسد العيون

فلا تجتلي في الدخان رؤوس الخيانه

أغسطس ١٩٦٨

ايوب المعاصر

أيوبُ ...

على طريقكم مصلوب

أمال راسهُ

ألقى به على صدرٍ مهشمٍ منخوبْ

تجفل منه النظرات

تجفلُ القلوب

حاول أن يسكب دمعةً أمامكم

كي تمنحوه بعض العطف والرثاء

تحسّسَ الجفونْ

فتّش أغوار العيون

محاولاتهُ تحطمت

تبددتْ هباءْ

لا دمعة أجدت

ولم تعصِر من الجفون ماء

منذ قطعتم ثدي أمه في زمن الرضاعه

دموعه مضاعه

سالت على المهد مع الحليب

اختلطت مع الدماء

تناثرت في ليلهِ الرهيب

ما عاد صابراً

وليس في وقوفه شجاعه

فالصبر بئرنا الغريب

« أيقونة » الجبان .. والصليب

ثار ، بكى

مشى على طريق النائحين والحواه

مزّق ثوب الصبر قال : آه

●

حاول أن يمتدح الخناجرْ

أن يستعير صوت مطربٍ وشاعر

أن يمنح الجلاد بعض الحمد والمديح

لكن لسانه المقطوع

صوته الذبيح

خاناه في محنته الكبيره

في الليلة الضريره

فما استطاع أن يطلق أسر صوته ، وأن يصيح

وحين خانته بقايا الكلمات والدموع

حاول أن يرفع كفه مستجدياً براءة الجموع

كان ذراعه مقطوع

وأنفه مجدوع

أعاد رأسه على الصدر المهشم الجريح

رمى بعينيه إلى التراب

ودّع في مرارة عالمه القبيح

أطلق روحَهُ، أنقذها من دنس الكلاب

عاش بلا صبر

ومات في العذاب

باريس ١٩٦٦

الى اللقــاء

إلى اللقاء ...

حين افترقنا واختفت عيناك في نهاية الطريق

أجهش في عيني وأظلم المكان

وامتد ...

لم أجد لعيني شاطئاً ولا ميناء

أحسست أنني الغريق

أن طيور حبنا الجميلة البيضاء

ترحل خارج الزمان

تلهث في الحريق

تغرق في الدموع ، تستحم في الأحزان

●

وقفت تائه المسار

واريتُ حبي مثخناً

أطعمته طحالب البحار

أسقيته عصير الصمت .. لم يزل إليكِ ظامئاً

يفتش الأمواج والقواقع

تمر حوله الأيام تختفي

وهو هناك .. في المكان راكع

أنلتقي؟

ما أوجع السؤال

يعصرني ..

يحفر في الأعماق والعيون

دوائر الظنون

•

« إلى اللقاء ... »

« إلى اللقاء ... »

تنقذني تشدني من الضياع

تزرع في طريق يأسِنا ومضاً من الشعاع

ما أوجع الوداع

لو لم تكن « إلى اللقاء »

المرفأ القريب للمسافرين

والأمل الأخضر والشراع

إلى اللقاء ...

إلى اللقاء ...

إلى اللقاء ...

باريس ١٧ يوليو ١٩٦٦

على أبواب شهيد

في وداع الصديق الشهيد عبد الله محمد اللقيه

أتسمح لي أن أمر ببابك

أتقبلني لحظة في رحابك ؟

لألثم حيث هوى السيف ، اقبس بعض الشعاع

لأقرأ بين يديك اعتذاري

لأحرق في الكلمات الحزينة عاري

لأشعر – لو لحظة – أنني آدمي

وأني بظلمك صرت الشجاع

فإني جبان تخليت عنك غداة الوداع

تركتك للموت ،

للقاتلين .. الجياع

●

أتسمح لي أن أعفر وجهي

أمرغ شعري

بباقي الدماء

أمزق وزري

لأعرف باب السماء

وعذري اليك ، إلى شمس عينيك

أني جبان

ولكنني رغم جبني

بكيتك ملء عيون الزمان

نقشت اسمك البكر عبر المدى والمكان

ولم أقرع الرأس – رأسك – مستنكراً

مثل أصحابنا الآخرين!

•

ومهما فعلت فإني أنوء بعاري

اجرجر في الليل ظلي

وأكره وجه نهاري

إلى أن أجسد في الواقع الجهم

في ساعة الصفر ثاري

وأغسل في نار «تموز» ذلي

•

قتلناك حين هتفنا: الشريف البطل

يموت احتراقاً لتحيا البلاد

ولما احترقتَ اختفينا

كأنا رماد

كأنا بقية نجم أفل

وجفّت بأفواهنا كلمات الجهاد

وكنتَ البطل

وكنتَ الأمل

تقدمتَ، نازلتَ آخر وحشٍ قديمْ

تعاركتما ثم ألقيته مثخناً بالجراح

وأسلمته للجحيم

ولكنه قبل أن يختفي

مدّ أظفارهُ شجّ وجه الصباح

فأغمضتَ عينيك

ودعتَ..

لكننا لم نكن في الوداع

فأجهشتَ : اوّاه

يا للوفاء المضاع

مايو ١٩٦١

لو ..

لو كنتُ في جيش مشاعره ، مواقفهُ أمينه

لو أن ما تُخفيه أعماقي تحس به الجماهير الحزينه

لو كانت الاشعار صاروخاً يحلق أو سفينه

أطعمت قطاع الطريق النار

أشعلت الحرائق في المدينه

أعددت للاقطاع « مأدبة المماليك » السمينه

●

لو أنني شمشونها الجبار في ليلِ الضياع
وزّعت كل الارض بين الكادحين على المشاع
ألقيت ما جمع القساة المتخمون إلى الجياع
وكتبت للمستضعفين وثيقة العدل الجماعي

•

لو أن فارسنا فتى أحلامنا بالأمس جاء
في موكب التحرير ممتشقاً أعاصير الرجاء
لم يذبح الاقطاع فرحتنا
ولم يرجع إلى النهر الدجى
لكنه سيجيء
هذا صوته في الفجر قادمْ
ويلٌ لأصحاب القصور المتخمات، لكل ظالم
ويلٌ لمن يمشي على درب من الأشلاء قاتم

ويلٌ لمن باع البلاد وأهلها – ولمن يساوم
ويلٌ لهم مِنا .
ومن أحقادنا في يوم قادم

●

يا أصدقائي في التشرد والمجاعة والصلاةِ
لا تيأسوا من يومنا
يوم الجياع السمرآت
أقسمت أن أحدو خطاكم في الطريق إلى الغداة
شعري لكم
عمري لكم
إني وهبت لكم حياتي

١٩٦٢

آه ..

يا وطني ..

الشعراء في ذرى « الأوليمب » عند قوس الشمس

يغرقون في الكؤوس

يفتشون عن أغاني الحب

عن « فينوس »

وأنت مصلوبٌ وليلك العبوسْ

ينام في العيون

أشباحه المدى

تداعب الاعناق تحصد الرؤس

تحترق النجوم في سماك ، تنطفيء الشموس

والشعراء صامتون

على مشانق الحروف ميتون

لمرمر السيقان

النهود الجائعات ينشدون

تركتهم

هجرت شعرهم

وجئت في ليالي الفرح المكذوب

أحدث الناس عن المكتوب

اقرأ ما قد أخفت الاسفار عن أيوب

أيوبنا

يا شعبنا المصلوب

●

يا وطني

ما كنت شاعراً ولا أحببت أن تمضغ وجه عمري الاوهام

يفضحني

ينثرني الكلام

لكنها أحزانك الكبار

الشوك في عينيك والاحجار

أشعلتِ الحروف الغافيات في دمي

الراعشات في فمي

علّمتِ الشجون والآلام

أن تنظم الدموع .. أن تعاني الاشعار

فكانت العواصف الحزينة الرعود ... كانت الامطار

●

يا وطني :
حين يصير الصوت موتْ

حين يصير الموت صوت

حين تجف « الآه »

ويسقط الظلام ناشراً أشباحه على الافواه

حين يغيب في جدار الصمت وجه الله

لا بد أن يقول المؤمنون : الكلمة المعاده

أن ينطقوا تحت حبال الموت بالشهاده

أن يبصقوا على جبين كل « شاهنشاه »

أن يحفروا على مرايا كل قيصر

على سريره وفي سماه :

« أوّاه » .. آه

« أوّاه » .. آه

« أوّاه » .. آه

أغنيات صغيرة للحزن

اللقاء الثاني

والتقينا

لم يعد في العين شيء من بريق

جفّ نهر الحب

أغفى في صقيع الليل محموم الحريق

نغم الامس الذي هدهدنا

سكنت أوتاره .. الصوت عتيق

قد مللنا ولكم سرنا فما

ملّت العين ولا طال الطريق

غرقت في الضفة الاخرى حكاياتا

فماضينا غريق

لم تعد أهدافنا واحدة

ورفيق العمر ما عاد الرفيق

حطم الكاس لكم قد صدئت

شفتاها .. فقد اللون الرحيق

●

الشعرة البيضاء

يكبر الحزن ونكبر

كل عام نتشظى نتكسر

جرحنا النغار ينمو ، يتخثر

امسنا مات ، غد لن يتأخر

أي شيء حولنا لا يمطر الموت؟ وفي أعماقنا لا يتبخر
طفلنا جف ، تحجر
أنكرت لثغته الشمس ، ووجه الأرض أنكر
وفتانا .. احترقت أقدام عينيه تعثر
كان أصغر
كانت الصخرة أكبر
أي شيء سوف يبقى بعد أخضر ؟
فلماذا تزرع الحزن خطانا ؟
تتكسر ..
تتفجر ..

●

ظل حزيران

ويمتد — ما زال — بئراً عميقاً من الليل فوق العيون

و[illegible] قبيحاً على القلب ،

يرقص فوق الجفون

يحفر في كل وجه شتيمه

يرسم بومه

ينقش في كل ممشى

على كل عين « هزيمة »

أشباحه الم[illegible]ش ، تلعب

على كل [illegible]

تثور وتغضب

إلى أين نمضي ؟

إلى أين من ظلها العاقر الجدب نذهب ؟

●

الغربه

حزني غريب الوجه واللسان

ليس له عينان

لا قلب لا يدان

يمر من عيني وفي دمي

يمشي على رأسي كما يمشي على جرح الدجى ثعبان

فأين أمضي ؟

أين اختفي من موكب الغربان

من عفن الأحزان

في غربتي هتفت بالجان

بكيت بالجان

ضحكت بالجان

وقفت تحت كل الماء والألوان

أكلت نفسي

بعتُ أطفالي

مسحت كل نعلٍ مرَّ بالميدان

غسلت بالدمع الغزير قطة السلطان

جَبُنت لم أقل حين مشت حولي مواكب الشيطان

« الله ... »

لم أذكر ولا تعويذةً واحدة من القرآن

لست أنا الذي يقال لي « جبان »

الجبن في الغربة .. لا الإنسان

هابيل الاخير

هابيل ...

كم عامٍ مر وأنت قتيلْ

مطروحٌ في الطرقات

تبحث عن حفار قبورٍ بين الأموات

قابيلُ الآثمُ حين رآك

مقتولاً فرَّ إلى البحر

ابتلعته الأسماك

وبقيتَ بلا قبر ـ وحدك ـ يبكي الجسدُ العريان

خجلاً

وتمر حواليه الغربان

علّ بقايا إنسان

يشهد رحلتها اليومية

كيف توارى في حزن موتاها

في رعبِ قتلاها

لكن العام يمر

تتعاقب حول الجثة أعوامْ

والجسد العاري الحر

مطروح في الطرقات

تسطو الديدان على عينيه

تثني سورته الريح

تنزو حشرات الليل عليه

واسيع على الوجه الظلمات

●

لو كنتَ القاتلَ يا هابيل

لو كنت بلا قبرٍ

كان البحر أو النيل

قبراً يخفي وجهك من ضوء الشمس

من حزن الأمس

فتحسس خنجرك المسموم

أغمده بلا خوف

افتح قلب أخيك المحموم

إني أدعوك لكي تبقى أنت القاتل

أنت الضارب وجه الباطل

●

هابيل ..

أقتل ..

اقتل اباك تقول :

أنا القتيل !

•

أنا المقتول

الى فـــأر ...

احتفاء بالفأر الذي سقط مؤخراً في المصيدة الشعبية
بعد أن تمادى في قرض الاموال العامة والبشر

ذهبتَ مثلما أتيت ، ملعونَ المساء والنهارْ
أيامك الطوال عار
وعهدك القصير عـــار
أكبر منك نملةٌ
أشهر منك ريشة على جدار
يا أمسنا الذبيح

يا فأرنا القبيح

قاتل الأطفال ، يا مهدم الحياة والديار

●

ظننت أنك الإله .. أننا العبيد

تفعل ما تريد

تعبث في مصائر العباد

فخانك الظن وخانك الرشاد

تناثرت خطاك

أصبحت كومة من الرماد

تنام في انفراد

تصحو على انفراد

تسألك الرياح ، يسأل الجماد

ماذا صنعت قل ...

ماذا صنعت للبلاد ؟

ماذا تركت من ذكرى على ضميرها ومن أمجاد ؟

لا شيء يا صغير

لا شي غير لعبة المزاد

رفاقك القرّاد والقوّاد

وعاصفَ الفساد

ماذا تركت للذين يقرأون ؟

ماذا سيكتب الأطفال عنكَ حين يكبرون ؟

سيكتبون .. مر من هنا منتفخاً

فأرٌ صغير يرتدي ثوب مغامر جلاّد

بطاقـة اليهـا

(الى ف . ع)

أنا من بلاد « القات » مأساتي تضج بها الحِقبْ

أنا من هنـــاك قصيدة تبكي وحرف مغتَرب

غادرت سجن الأمس ملتحفاً براكين الغضب

أثرُ القيود على يـدي ، ساقي تنوء من التعب

لا « عطر » لا « بترول » أحمله وليس معي ذهب

ما زلت أغسل في مياه البحر أشرب في القرب

قدماي حافيتان ، عاري الرأس ، موصول السغب

وسفينة الصحراء طائرتي ، وقصري من خشب

إن دندن « الموال » في الأغوار يقتلني الطرب

ويشدني نآي الحقول أذوب إن ناح القصب

لكنني في الحب موصول العراقـــة والنسب

« مجنون ليلى » في دمي و « جميل » مجنون اللهب

أنا والهوى ، جئنا ، شببتُ بظله حُلماً وشب

هل تقبليني بعد ؟ هل ترضين بي شمس العرب؟

أنا فيك مجنون تحير ســـير عمري واضطرب

لما تلاقى المعجبون أمـــام موكبك العجب

قـــالوا ومات اللفظ مشنوقاً على شفتي التهب

هزتك ثرثرة الشفاه وخـــاب صمتي وانتحب

وذهبت تقتـــاتين ، تغتسلين في موج الصخب

والصمت لو تدرين .. أبلغ من ملايين الخطب

القاهرة ديسمبر ١٩٦٣

في انتظار «جودو»

إلى تهامة عام ١٩٦٩

من السماء .. ربما

من زبد الأمواج من رياح الارض أن ضنّت به السماء

لا بد أن يأتي ذلك الشيء الذي تعددتْ

تكاثرت من حوله الاسماء

فلترفعوا القلاع في طريقهِ

شيدوا جدار الدم والدموع

لتطفئوا الشموع

لتطلقوا على الذين يهتفون في انتظاره كلاب الجوع

لكنها

تنهدات الأم آهةُ السجين

أشواقنا اليه والحنين

تضيءُ كالنهار

طريقه الجبار

أقدامنا ثابتةٌ على الطريقْ

أعيننا مشدودة الى الحريق

ولن نمل مهما طال

مهما لجّ الانتظار

●

« جودو » ..

سجيننا يحفر ثغرة في الباب

لكي يراك قادماً من خلل الضباب

حين تعيد للأم ، وللمدينة الشباب

والأم والمدينه

من خلف كل دمعةٍ دامية حزينه

ترقب « جودو » تستعد للخلاص

تجبل من أحزانها الحراب والرصاص

فمرحباً بالجوع والدموع

« تهامة » الاحزان بعد أن يأتي لن تجوع

لن يعرف الاطفال والرجال جوعَ

أيّ جوع

الشمس تسقط في المغرب

الى الصديق الزميل الحمدي بن فرج في محنته الأليمة

جوقة :

خيول « طارق » نافرة الخطى

و « طارقُ » على رمال الاطلسي ذبيحْ

« موسى » يضج في القيود

« عقبة بن نافع » جريح

والشمس مذ هوتْ من الاعياء

على مقابر الاحباب

مفجوعةً

فاقدة الضياء

والليل يأكل النوافذ الحزينة الكوى

وينهش الابواب

●

الصوت :

تهشم الألق

تكسرت حوائط النهار .. والشفق

مدّ ظلاله الدميمة الغسق

سارت على شوارع المدينة البكماء

كتائب الظلام .. والفِرق

أعلن حكمه الطوفان ، سالت الدماء

سلّ حسامه من غمده الغرق

ومات كل شيء في عيوننا

احترق

●

جوقه :

عصفورةٌ مذعورة فرت

تحدّت الاسوار

تحمل في المنقار

حكاية الشمس التي هوت

تكسرت على الجدار

تنوح في انكسار

« رأيتهم هناك يذبحون الفجر

يشنقون كل نجمة على الفضاء

يحاكمون كل خيطٍ ، كل لمعة من الضياء

فابتلع المحيط اللمعان

ابتلعت أمواجه البريق

وصار كل شيء ميتاً

وصامتاً

في المغرب الغريق

●

صوت :

تساءلت في الأفق نجمتان

غريبتان

ـ أتنظرين يا اختاه نهر الدم ؟

يسير نحو اليَم

ـ لا أحدٌ في أفقنا يثور أو يهتم

كأن شيئاً يمنع الافواه

— يقيد الاقلام يا أختاه

تمر حوله العيون مرةً ومرة فلا تراه

●

جوقة :

الليل مَرّ والعيون في الدجى تنتظر الشروق

متى يعود

ولن يعود

فالشمس جيدها على رمال الاطلسي مشنوق

مكسورة العمود

ترقب في تمرد حزين

سيف « أمير المؤمنين »

وترقب الجنود

في كل كفٍ أسود سكين

وكل قلبٍ أبيض طعين

وطفلة تصرخ « وامحمداه »

وامرأة عجوز تسأل الأله

أن يحفظ ابنها السجين

المغربَ السجين

●

الصوت :

بكت سهول « فاس »

وأجهش « الأوراس »

والجامع الكبير في دمشق غاضبٌ حزين

والامويُّ تحت النقع محني الرأس

يبحث في صحارى الميتين

عن عقبةٍ جديد

عن مدد وثائرين

اطرق فوق صهوة الجواد

قلّب عينيه الحزينتين حول الناس والجماد

كان الفراغ قاتلاً

لا شيء غير الصمت والسواد

١٩ يوليو ١٩٧١

خطاب مفتوح الى أيلول

الى المسؤول الذي طلب اليه صديق مناضل أن يجدد له جواز سفره فقال : أنت من الغرباء ، وباسم ذلك المناضل الشريف كانت هذه القصيدة .

أنت يا محبوبنا

يا من عبرنا نحوه جسر الدماء

يا أبانا

أنت تدري أننا نحن بنوك

أمِنّا حين أتينا

لم تكن قد عرفت بعدُ الزنا

لم يكن ضاجعها بعدُ «أخوك»

لا ولا مرت بعينيها خيول الدخلاء

فلماذا يزدرينا سارقوك ؟

كيف صرنا غرباء ؟

●

(تلخيص)

قتل الليل الصباح

نزفت من كل نجمٍ والتظت سود الجراح

سجن الموج الرياح

●

أنت تدري أننا نحن بنوك

كم زرعناك على أعماقنا

ونقشناك على أحداقنا

والذين اغتصبوك

قتلوك

خلف بئر الحزن – يوماً – صلبوك

كلهم لا ينكرون

أننا نحن البنون

فلماذا يا أبانا

لا ترانا

كيف نمضي غرباء

سئم الليل أسانا

وبكانا

ملّتِ الغربة مثوانا . وضاقت بخطانا

كلما هم شريد أن يعود

رفعوا في قفر عينيه الجدار

أطلقوا وحش الحدود

صادروا كل طريق للديار

●

(تلخيص)

خشب السفن احترق

نقشت في كل عينٍ ربةُ الشوق الأرق

نهش الحزن الحدق

●

أنت يا محبوبنا

يا من وهبنا فجره أغلى الجماجم

كيف أصبحت غريباً

والبنون ..

تائهون ..

في دجى ليل من الغربة قاتمْ

كل عام يفتح الارهاب ابواب السجون

لنرى وجهك كالمصلوب واجم

باسمه يحتفلون

باسمه تُنصَب للناس المشانق

تحصد الشعب البنادق

واذا رنَّ على الأفق عتاب

قال جلاد الضحى في بربريه :

لا تخف يا ملك الصحرا

يا وحش الضباب

إنما نبصق في وجه الملايين الغبيه

بشعارات السلام

لتدب الحشرات الآدميه

وتنام

كلما مر على « أيلول » عام

سبتمبر ١٩٦٨

عصر يهوذا

وكان « يهوذا » هناك

يقبل رأس « المسيح »

ويشرب نخب الإله

وفي كل رشفة كأس يصلي

يناجي .. يصيح

يعيش الاله

يعيش الرسول ، وشعب الرسول الذبيح

ويقرأ مستغرقاً في خشوع

حكاياتٌ من صُلبوا في الطريق
وفي عينه يرقص الحزن
تبكي الدموع
وفي صوته يتعالى حريق

●

وعند الصباح يموت النهار
ويرقد فوق الصليب الرسول
وخلف السجون يعاني، يموت الإله
وتغرق « روما » بأحزانها .. بالذهول
وتُدمي المساميرُ والشوك وجه الحياه
ويبدو هناك « يهوذا » بقصر الزعيم
يغني يدق الطبول
« يعيش الزعيم العظيم

يعيش الذي شدّ كل الجباه

إلى الشمس .. شد عيون الحفاه »

وفي جفنه يرقص الحقد ، يطفو المرح

وفي شفتيه الطحالب تنمو

وفي صوته يتلوى الفرح

●

مشيتُ ..

مشيت بأقدام قلبي

لعلي أحس على الأرض صدقا

لعلي أعانق حقا

مشيت مع الشمس غربا

رحلت مع الفجر شرقا

وجدت – يهوذا – هنا يأكل الجائعين

ويسمع أقوالهم في شجاعه

وكان هناك يداعبهم خائفين

ويأكل أحلامهم في براعه

« يهوذا » هنا .. وهناك الأمين

وصاحب كل الطقوس المباعه

ونحن البضاعه

ونحن الجموع المضاعه

نغير لون الوجوه

نغير أدوارنا كل يوم ليرضى الزعيم

لكي لا نتوه

ويُلقي بنا غاضباً في الجحيم

●

كفرتُ بهذا الزمان

بكل الزمان

كفرتُ بصمت الكهوف

بلون الحروف

بهذي القصيده

بكل قصيده

بكل عقيده

بدين « يهوذا »

بعصر « يهوذا »

بما تكتبون

بما تقرأون

تعالوا لكي تصلبوني

لكي تنقذوني

فاني كفرت بعصري

بنفسي

بانسان عصري

فلا ترحموني

فلا ترحموني

شكوى الى أبي نواس

يا أبا النوّاس

مات الشعرُ والكأس انكسرْ

لم يعد في العصر للظمآن ماء

لم يعد في ليلنا الوحش سمَر

والسماء ..

ما عاد شيء في السماء

يُلهمُ الشعر قلوب الشعراء

أجدب الغيمُ ،

على افاقنا جف المطر

●

في فيتنام جثثٌ
في بلادي جثث تمشي على هام جثث
في عيون الناس في الشرق وفي الغرب جثث
حدثٌ يأكل أنباء حدث
سقط الحرف غريقاً في الدماء
أصبح الشعر بكاء

●

لم يعد ليل المغنين هُياما
وندامى
ان شربنا فدموعاً مالحاتٍ في الجماجم
أو رقصنا فعلى أشلاء مقتول ..

على آهات واجم

نُقلنا[1] أكباد أطفال صغار

شَنِقوا جوعاً – وأحياناً – عيون

تحرقُ الأحزان في النار

فتخضرّ الشجون

كم على الحائط .. في البار

تلاقى ميتون

وظنون أمسكت رأس ظنون

حاننا بيت الجنون

يا أبا النواس غلمان المدينه

كل غلمان المدينه

رحلوا عنها إلى إحدى المواقع

ثم ماتوا قبل أن تهمس بالسر المدافع

---

(١) النقل المأكولات الخفيفة التي يتناولها السكارى أثناء الشرب .

فبكيناهم ولكن

في سكينه

والعذارى فقدت في زمن الجوع البكاره

فقدَ الفجر الطهاره

غرقت حتى « جنان »[1]

خلف أوكار الدعاره

فانطوى الشعر وهان

غربت شمس العباره

والذي يحكم بغداد ، ويحتل مقاصير الرشيد

رأسه لا تهضم الشعر واذناه جليد

كلما أورقت الأشعار

سالت من مزاريب القصيد

---

(١) حبيبة أبي نواس المفضلة .

ثار مجنوناً.. وألقى تحت أقدام العبيد

برؤوس الشعراء

سقط الحرف غريقاً في الدماء

أصبح الشعر بكاء

٩ سبتمبر ١٩٧٠

في انتظار عودة الشهيد

إلى زوجات وأمهات الشهداء

لا تنتظرنَ ...

قد يطول الليل قبل أن يعود من رحلته النائية الشهيد

جفّ الغناء في الذرى،

وضاع عند السفح

رجع البوق والنشيد

فامسحن دمعةً تحدرت على تمائم الأطفال

وابصقن في وجوه .. في عمائم الرجال

الواقفين في انتظار عودة الشهيد

ليغسلَ الديار من أحزانها

لكي يموت من جديد

●

لا تنتظرن

سوف تمتلي الطريق بالاشباح

سيأكل الظلام الزرع ، يمضغ الارواح

سيختفي تمساح

ويستوي على ظهورنا تمساح

حتى يعود من رحلته الشهيد قادماً مع الصباح

« بلقيس » في سحابة الحزن تمر بالسفوح، بالجبال

بحثاً عن الابطال

أشلاؤهم لما تزل مهجورة يغفو عليها ينحني الرماد

وحين يلقي رأسه الشهيد

حين تعود كفه إلى الزناد

ستصرخ الجبال : عاد

وتصرخ السهول : عاد

●

لا تنتظرن ..

ربما من الظلام

وربما حين يعربد النهار في الظهيره

سيمتطي جواده محلقاً

ويعلن البداية .. المسيره

سيصعق الطغاة يومها

ويسقطون في الخنادق الاخيره

ويومها تمسح عينيها

وتصحو من سباتها العقيم شمسنا الأسيره

●

لا تنتظرن ..

كم تهز الصخر والجدار

على الطريق .. نظرة انكسار

وتسحق الرؤوس همسة استفسار

ودمعة انتظار

رسالة إلى سيف بن ذي يزن

الفـــاتحة

الصمت عـــــار

الخوف عـــــار

من نحن ؟

عشاق النهـــــار

نبكي ،

نحب ،

نخاصم الأشباح ، نحيا في انتظار

سنظل نحفر في الجدار

إما فتحنا ثغرة للنور أو مُتنا على وجه الجدار

لا يأسَ تدركه معاولنا

ولا ملل انكسار

إن اجدبت سحب الخريف ،

وفات في الصيف القطار

سحب الربيع ربيعنا ، حبلى بأمطارٍ كثار

ولنا مع الجدب العقيم محاولاتٌ واختبار

وغداً يكون الانتصار ..

وغداً يكون الانتصار .

رسائل الى سيف بن ذي يزن

ما بين عامي ١٩٦١ – ١٩٧١ كتبت مجموعة من الرسائل الى سيف بن ذي يزن – المهاجر – الطالب – المنفي – وعندما حاولت أن أجمعها للنشر لم أجد منها بين أوراقي سوى هذه الرسائل الخمس التالية . وقد كتبتها في أماكن وظروف مختلفة ونشرت بعضها في الصحف والمجلات العربية، وأهديت معظمها الى قبر حبيب ضائع في سهول اثيوبيا والى قبور أخرى ضائعة ، متناثرة ، تحت سقف العالم ، تطل بلا عيون الى الوطن الضائع ، وأنشرها هنا بلا ترتيب .

رسالة الى سيف بن ذي يزن

الديباجة

سفحنا عند ظل الدهر تحت قيودنا الفا
ونصف الألف ،
من أعوامنا العجفا
وأنت مشردٌ
وبلادنا تدعوك وا « سيفا »
اتستجدي لها في الغربة الأمطار ؟
اتحرث في الفضاء ، تعاتب الزمن الغريب ؟

تعاتب الاقدار ؟

وتسفح تحت كل سحابةٍ يا سيفنا

من عينك الأشعار

على أبواب قيصر تذبح الأيام

والأعوام

تسكب ماءَ وجهك ، تلعق الاعتاب والاقدام

وفي ساحات كسرى تلفظ العمرا

وتشبع زهوه شعرا

فما نبضت بقيصر رعشة الإنسان ، أو كسرى

ولم تنهض قضيتنا

وما زال الظلام هنا

و « ابرهةُ » يسوق قوافل الأحرار

ويبني من جماجمنا

كنيسة ربه القهار

الحنين

حديثَ الحب

موالاً من الأشواقْ

صنعنا منك يا انساننا المصلوب في الآفاقْ

وفي الأعماق

حفرنا رسمك المشنوق

في الاحداق

وفي أفواهنا ما زلت أسطوره

وفي تاريخنا ،

في جيلنا تتوهج الصوره

وننتظرُ

وأشرعة النهار على الجبال الربد تنكسر

وتحتضرُ

ونغرق في مواجعنا

يغرق حلمنا الأخضر

وعبر شواطىء « العربي » و « الاحمر »

تظل جموعنا تسهر

وترقب فوق موج الليل

تشهد عند خط الأفق خيل العائد الاسمر

نعد له تهانينا

نسوق له اضاحينا

ولكن الزمان يسير

وعالمنا يطير ، يطير

وأنت هناك لم ترجع

ولا عادت من المنفى

كتائب « قيلنا » تبع

لقد هرمت معابدنا

ووجه الشمس لم يطلع

ونحن على مشارقها

عراةٌ، نشتكي، نركع

فلا سمعت

ولا أنت الذي تسمع

الموضوع

ومثل شويهةٍ مثقوبة العينين

ملقاةٍ على الطريق

وقفت تصيح في الغسقِ

تكابد ما تكابد من عناء الموج والغرق

وتشكو ظلمة الحدق

يمينك ليل ..

يسارك ليل ..

أمامك ويل ..

وخلفك ويل ..

وليس سوى الحريق

أعد لنا ، لجبالنا دوامة الحرق

وخلف الريح والاعصار : أرسل صامت المجداف

توقع أن تموت اليوم ،

أن تحيا غداً في شاطىء الاعراف

فما أشقى جبينا خاف !

تمرغ في الظلام بكى ،

فلا حقاً أفاد الدمع لا إنصاف

ولا نجماً تململ ضوءه بحثاً عن « الاحقاف »

استطراد

تطاردك العيون بكل أطماع الذئاب بجوعها الضاري

وانى سرت فالانياب

مكشرةٌ على الابواب

تمزق قلبك المطعون ، تنهش جسمك العاري

غريبٌ أن رحلتَ ،

غريب الوجه في الدار

وبين عبيد ليل الارض ، تبحث عن ملائكة وثوارٍ

وفي النار

تعيش ، تمزق الايام في النار

بلا فجرٍ

بلا نصرٍ

كأنك مركب تاهت بلا بحرٍ

تسير بغير بحّارٍ

ملحوظة

أتنتظر المساعدة الكريمة يا بن ذي يزن ؟

سنرفض أي حلٍ سوف يأتينا مع السفن

سيرفض شامخاً وطني

إذا « سيزيف » لم يحفل بصخرته

ويقذفها الى أسفلْ

فمن ذا غيره يفعل

بحق الحب دعه يصارع المحتل

سيفشل مرةً ..

لكنه في قادم المرات لن يفشل

عتاب

على كل الدروب بكل منتجع

طيوفُ داميات اليأس والوجع

تفتش عنك يا « عوليسنا » المفقود في فزع

وتسأل كل عابرةٍ ضبابيه

ولامعةِ سرابيه

وما زالت مشردة

تضج بسجنها النائي

وتشكو سطوة الداءِ

وتصرخ في الظلام ، متى ؟

أيا « عوليسنا » « بنلوب[1] » شاخ بكفها المغزل

وجف الثدي والمحبل

جموع الراغبين الخاطبين وصالها ترحل

وما باق هنا غير اللصوص السارقي الاعراض والمحتل

أترضى أن تسلم نفسها للعار

هل تقبل ؟؟

وهل عانقت ليل الغربة السودا

---

(١) بنلوب بطلة الاوديسة انتظرت عودة زوجها التائه « عوليس » حتى شاخت ، ورفضت كل الأزواج .

ووجه الظلمة الخرساء

لغير خلاصها من قبضة الأعداء

تعليق

حملت الأرض في عينيك ، في شفتيك لحناً مثخن الإيقاع

حملت الناس والأوجاع

رحلت بهم الى المنفى

تعاني الليل ، تشرب في الصحارى الريح

على أبواب كل مدينة تتلمس التصريح

– لماذا جئتَ ؟

– كم يوماً ستقضي ؟

– كم نقوداً قد حملت ؟ أليس من أطماع ؟

– كأنك فاتحٌ والحزن جندك والدموع الأهل والاتباع

هامش

على عيني كتبت قصائد الشوق المسائيه

سمعتُ « سهيل » عنك يحدث « الشعرى » اليمانيه

بانك قادمٌ وجنود رحلتك الخرافية

لثمتُ ترابنا العطشان

لثمت جدار غربتنا الحزين .. نهارنا الأسيان

ضحكتُ ..

بكيتُ ..

في سردابنا الليلي كتبت قصيدة أخرى بكائيه

لأنك قادمٌ والجند لا يدرون أن الأرض قد صارت

بلا زرع

وأن الأم قد صارت بلا ضرع

أفي الصحراء ، في الغابات ، أم في داكن المدن

سينزل جيشنا المغوار

جيشك يا بن ذي يزن

نـــــداء

تعال فاننا نأسى عليك

وجوهنا خجلى

وما عدنا بلا جند

لقد شب الصغار وصار كل مقمطٍ كهلا

وخلف الغيم إمطار

وفي الأعماق تحتشد «الابابيل»

وأبرهةُ يناور وهو مأكول

وموعدنا نهاراً

حين يأتي بعد جدب الصيف أيلول

ختام

ملأت سهولنا وجبالنا نوحاً وأشعاراً

فماذا أنبتت ؟

شوكاً وصبارا

أغانيك الحزينة لم تعد ناراً

لقد خمدت

تكاد على المدى تخفى

فحطم حائط المنفى

وجئنا فارساً متوهجاً سيفاً

نثور به

نصول به

لعل بلادنا من ليلها تشفى

الرسالة الثانيــة

الى فاروق خورشيد ، تحية من بلاد
« سيف » للمجهود الكبير من جانبه في
احياءسيرة البطل..الاسطورة الحقيقيه »

حزني عليك ،

عاد كل غائب الى الديار

القى الشريد للدجى قيوده ،

---

* فاروق خورشيد ، كاتب كبير ، واذاعي معروف له اضافات أدبية أصيلة في مجالات القصة والمسرح والدراسة الادبية وله اهتمام خاص بالسيرة الشعبية أعاد صياغة بعض السير الشعبية وفي مقدمتهـــا سيرة « سيف ابن ذي يزن » التي أعاد صياغتها في جزئين نشرهما منذ سنوات ضمن مجموعة « روايات الهلال » .

القى شجونه وطار

وأنت في منفاك يا « سيزيف »

لا الصيف – كان مشفقا ولا الخريف

ولا « بروميثيوس » قـــد القى على طريقك الشتوي ومض نار

●

حزني عليك :

عاد بعد رحلة الرعب المخيف « سندباد »

سفراته السبع انتهت

القى اغترابه للبحر ثم عاد

وأنت تائه الوجه غريب الكلمات

الرخ مات

النجم في عينيك في الضلوع مات

والنورس اختفى

جفت مياه البحر

يوشك الظل يموت ، توشك الحياة

ولم تزل في النار .. في الجليد

مسافرٌ .. بعيد

مسمر العينين مشدودٌ إلى السراب

على جواد الحزن تزرع الافاق

تبني لهم نواطح السحاب

وفي الجحور يمنحونك الظلمة ، يسكنونك الأنفاق

تسلمك الرياح من مغامرٍ الى أفاق

وكل ليلة على حوائط الدجى

تمد كفيك الهزيلتين للسماء .. للنجوم

تنشر خيمة الرجا

تسأل في ضراعة الأطفال عن نبأ

عن مأرب الحزين .. عن سبأ

فتصرخ الأمواج والصخور :

(الليل ثابتٌ ووجه الأرض لا يدور

وفوق عرش الليل يستوي « يكسوم »[1]

يصنع للنجوم الباكيات .. للقصائد الحزينة السطور

اردِيةً من الغيوم

يرقص في دماء الأهل عابثاً

في عرق الأحزان يستحم مرة ، ومرة يعومَ)

•

حزني عليك ،

تنطفي على جبينك الاعوامْ

وفي المنافي تذبل الأحلام

تنكسر الاقمار في عينيك والشموس

وتورق الدموع ، تثمر الآلام

(١) « يكسوم » الحاكم الحبشي لليمن في ظل الاحتلال .

وفي مدينة الظلام

تذرع ليل الأرض باحثاً عن « منية النفوس »[1]

« ومنية النفوس » هاهنا في الدار

تنسج ثوب العرس في سجونها

تصارع الكابوس

تنتظر الثوار

(١) محبوبة سيف في الاسطورة الشعبية .

الرسالة الثالثة

أكتب من سجني ،

أموت خلف الليل والجدار

أين تكون ؟ لا أدري ..!

ولكني أرى على بعدٍ وميض نار

ألمح سيف (آصف بن برخيا) يداعب الأسوار

يضيء ليلنا

يذخر شحنةً من الرعود

سوف تهز هذا الصمت .. هذا الليل والجمود

متى تهل من سمائنا الحزينة السواد

متى نرى وجهك يا «بن ذي يزن»

أنهش في انتظارك القيود

أطيل في طريقك الصلاة .. والسجود

أقبل التراب والاحجار والدمن

أقبل اليمن

ازرع في جبالها زهور الامل البيضاء

اكتب في سهولها قصيدة المحبة الخضرا

ارسم في الشواطىء الحزينة الرمال

على الفضاء عند خط الافق البعيد

مدينة ساحرة الاضواء

وحين تصهل القيود

تموت حولي كالعصافير العجيبة الالوان

تطير ، تهرب الاحلام

يفر من عيني ويبكي خلفها المنام

أصرخ في الظلام

•

أين تكون ؟ أين سيفك البتار ؟

يا قاهر التتار

يا صانع النهار

متى تعود ؟

متى تهز في أقدامنا القيود ؟

تقرحت أجفاننا

تقرحت أجساد شوقنا الغريب

وليس في صحرائنا طبيب

صحراؤنا تحبل بالبترول

تركع تستلقي لقادمٍ من المغول

يمنحها من موج نهرها العظيم

شيئاً من الوحول

ويشرب النهر ، ويأكل الرجال والايام والفصول

فأين أنت ؟

اسمع الرياح في القمم

المح وجهك الكريم

حوافر الخيول تستحث الفجر تمضغ الظلم

ونحن في انتظار الشمس

في انتظار القادم العظيم

الرسالة الرابعة

– ١ –

إلى أين اكتب يا سيف ؟

أين غداً ستكون ؟

أتحيا طليقاً ؟

أم احتجزتك البحار ؟

والقت عليك السجون شباك الحصار !؟

تقرّح وجه الحياة

تقرّح لون العيون !

- ٢ -

يقولون : مات

أقام له الليل قبراً على شاطىء البحر في « زنزبار »

بلا كفن تحت وجه النهار

ومن حولهِ ترقد الذكريات ،

ومقبض سيفٍ عليـــه نقوش تحدث عن « مأرب »
عن « ظفار »

تمر عليه النوارس مرعوبة

ويعانق جثته الموج يحمله الجزر كل مساء

ويرجعه المد ثانية للعراء

فتبكي رمال الشواطىء

تغرق أمواجه في البكاء

- ٣ -

يقولون : عند « ثلوج الشمال »
وفي ليلةٍ من ليالي الشتاء الحزين
وفي منجم الفحم مات يصارع وحش السعال
وماتت بعينيه أشواقه والحنين
وأطفاله عند أقصى الجنوب عرايا
يطلون من خلف كوخ الرمال
وينتظرون الهدايا

- ٤ -

يقولون : في بلد « العم سام »
وفي منزل ضائع خلف حي الزنوج
قضى نحبه ، لم يكن شاهد الموت غير الظلامْ
واطياف قريته لحظات الخروج

وفي رأسه تتهشم أصوات ابنائه

تختفي في الزحام

- ٥ -

وبالامس عاد أخوه

وكان « بدربان »[١] بائع خبز سعيد

وقال لهم أنه قد رآه

يسير شمالاً

يوزع أسلحة للعبيد

ويزرع عاصفة في طريق الطغاه

ولكنه رغم هذا النشيد

ورغم الأماني التي أورقت من جديد

فما زال عنوانه اللامكان

---

(١) مدينة في جنوب افريقيا كان بها عدد كبير من المهاجرين اليمنيين .

وتاريخه اللازمان

وما زلتُ نهباً لخيل الظنون

الى أين أكتب يا سيف ؟

أين غداً ستكون ؟

أتحيا طليقاً ؟

أم احتجزتك البحار ؟

والقت عليك السجون شباك الحصار !

تقرّح وجه الحياة !

تقرح لون العيون !

الرسالة الخامسة

باسم ٣٠ عاماً أمضاها المناضل
قاسم غالب في المنفى والمعتقلات

تلخيص اول

يا لغراب البين
في عامنا رأيته يضحك مرتين
حين هجرت الدار مرة
ومرة وأنت مغمض العينين

٥

بكيتُ إذ بكيتك الوطن

بكيت أهلنا المشردين ، حلمنا الغريب ، ذا يزن

بكيت حاضراً يضج بالجراح

ماضياً يعج بالمحن

بكيتُ فيك – يا شهيد – شعبنا

بكيتِ أُمنا اليمن

●

حين ارتمى على وجوهنا الدمار

حملت جرحنا

وودعت خيولك الديار

وتحت كل نجمةٍ

وقفت تغسل الجراح ، تصنع النهار

تسائل النجوم عن « أخيلْ »[1]

---

(١) أخيل بطل أسطوري .

عن سيفه الصقيل

وحين ضاع صوته قفلت راجعاً

وقفت شاحباً

تعاتب الرمال فيه والنخيل

تعاتب المساء والصباح والأصيل

هوى على جراحه الشريدْ

تمزقت خيوط قلبك الشهيد

وليلنا مخيم

وفجرنا على المدى...

مشرد.. بعيدْ

●

ليضحك الغراب

لترضع المشاعر الحقيرة السراب

غداً يطل (آب)
ويفتح المناضلون صفحة الحساب
ولم تمت . .
ولن تموت .. أنت في عيوننا
على جبالنا ..
وفي سهولنا ..
صحيفة نبيلة ، كتاب
قصيدة حزينة تدق كل باب

تلخيص ثان

نزحت فوق القبر دمع العين
شطرته نصفين
اسقيتُ نصفه لأحزاني
ونصفه الآخر
أسقيت اليمانيين في الشطرين

رسالة جوابية

لا تنتظرْ ..

لا تنتظرْ .

لن تمطر السماء أبطالاً

وسيف في بادية العراق يحتضر

أحلامه، عيناه . في الظلام تنفجر

وقدماه للدجى موثقتان

سيفه جريحْ

وصوته ذبيح

يبكي ،

يثور ،

يشتكي ، يصيح

هلْ تسمع القبور صوتهُ ؟

هل يسمع الضريح ؟

لا تنتظر ..

فبرق الشام ُخلّبُ

والفارس القديم لن يعود

قوائم الحصان في الرمال غرقت

تحولت إلى حجر

وفارس الحصان موثق القيود

أيامه تناثرت على صخور الحزن ،

وجه عمره انكسر

لا أطفأ الفراتُ ناره ولا الخليج

ولا أطلّ في اغترابه المطر

لا تنتظر ..

على الشفاه لا تهز صوت اللومْ

فربما يعود ذات يوم

ان أطلقت سراح وجهه الرياح

لكنه يعود مثخن الجبين

في قلبه ، في عينه تعربد الرياح

وتندب السنين

حزني عليه كم يموت كل ليلةٍ على مضاجع الحنين

كم تنطفي النجوم حوله

كم ينكفي ،

ويختفي الصباح !

يوميات سيف بن ذي يزن

عثرت على هذه اليوميات في مكان ما من صنعا في أعقاب الاحداث المحزنة التي مرت بالمدينة خلال شهر أغسطس ١٩٦٨ وقد نظمتها في نفس المرحلة ، بعد أن أجريت عليها بعض التعديلات الضرورية ، وكنت قد أهملتها ، ثم عدت اليها مؤخراً لأجد بعض أبياتها وقد انطمست ، فأصلحت البعض منها وآثرت نشر البعض الآخر بلا اصلاح .

من يوميات سيف بن ذي يزن
في بلاد الروم

معابد القمر

في مأرب الحزين

حملتها معي .. تحت الجفون في السفر

نقشتُ رسمها على الجبينْ

في البصر

•

بكى رفيق رحلتي حين ارتمت على العيون « أنقره »
أنكر وجهنا الطريق ،
والرفيق أنكره
ذكرتُ ثورة « الضليل »[1]
حين بكى الدليلْ
قلت له لا تبك يا رفيق دربي الطويل
لا تبك اننا نحاول التحرير
لا نبتغي ملكاً ولا سرير
فان وصلنا .. تلك غاية التطواف
ما لم ..
تكن دموعنا قد زرعت على الطريق شجره
القت على بحيرة الصمت العقيم دمعةً منكسره
واحترقت بحثاً عن المجداف

---

(١) اشارة إلى رحلة الشاعر امرىء القيس .

لتبتدي أجيالنا ـ غداً ـ رحلتها الى جبال « قاف »

(الثلاثاء ٩ نوفمبر ١٩٥٧)

في هذه المدينه

أنا حزين

ألا تحس قريتي

بأنها معي حزينه ؟

●

ينهش عيني ، يستفزها الضباب

يمضغني العذاب

تقرع أحزاني جدار الصمت ، تنشب الأظفار في الابواب

تسأل عن تحية .. خطاب

تحمله الرياح من منازل الاحباب

تقول لي رفيقتي رومية العينين :

– ما الذي تريد ؟

– أريد أن يكون لي قبرٌ هناك عند نخلة يظلها الجريد

ادفن في رماله التشريد

اريد ثورة تغسل عن حبيبتي « صنعا » مهانة العبيد

أكره أن أموت مبعداً

اكره أن أرى البلاد

الارض والنساء والأولاد

يستمنحون رحمة الجلاد

أكره أن أرى جنود (إبرهة)

تسير في غمدان

تقرع في الردهات .. في المقاصير طبولها

وتوقد النيران

تبول في حيطانه المموه

بكت رفيقتي

لكن صاحب الجلالة السلطان

قيصر أرض الروم

لا يستطيب دمعها

ولا يرى صراخي المكتوم

يمسكني عن التحليق

يسد من أمامي الطريق

يطلق حول سجني الذئاب

ويوصد الابواب

سئمت وحدتي

قرأت في سجونه ما حفرت دموع النازح (الضليل) من أشعار

بكيت للصحراءِ .. للخيام

ناجيت جارتي غريبة الديار

شربت خمرة عتيقة الشجون والآلام

ولم أزل في الاسر لا وجهي ملكته ولا الكلام
غرقت ،
ضعت في الزحام

(الاثنين ١٩ ديسمبر ١٩٥٧)

أنا شريدْ
خواطري على سفوح قريتي شريده
هل تعلم السفوح أن دمعتي
تكسرت على صخورها قصيدة ؟

●

ألمح صنعاءَ ..
يمر طيف مأربٍ على القمر
ألمح في النجوم أطياف النساء باكياتٍ ألمح الشجر
بلا ثمر

ألمح وجه (أسودٍ) دميم

يغتصب ابنتي

ينزع عن جبينها الصغير هالة الشعر

اسمع صوتهُ اللئيم

يحفر لاهياً على ظهور أهلنا مهزلة القدر

وكل ليلة

على سماء أرض الروم

أقرأ حين ترحل الغيوم

حكاية الرجال والمقاومة

حكاية الذين يجدلون من دمائهم حبال الموت للأعداء

حكاية الذين يرفضون العار

ولا يطيقون الرضوخ والمساومه

من الجماجم النبيلة السمرا

يواصلون البذل والعطاء

الله ما أكرمهم

ما أكرم الممات والبقاء

ما أكرم الدماء

الجزر السبع عبرتها

والسبعة البحور

كل سفائني تحطمت

واغتالت الأمواج سيفي المسحور

●

اين ينام مثخن الجفون سيف (أصف بن برخيا)؟[1]

أين تنام « عاقصة » ؟ [2]

أين اختفى

---

(١) السيف المسحور الذي كان يستخدمه سيف في السيرة الشعبية .

(٢) أخت سيف من أم جنيه « السيرة الشعبية » .

في أي قمقم ثوى « عيروط » ؟[1]

الافق غام والدروب عابسه

والنفق الرهيب[2] لم يزل يمتد ...

احنى حلمنا الصعود والهبوط

انشب مخلب السهاد في عيوننا الكابوس

على حدائق الظلام أشجار الدماء تنبت الرؤس

ولم تزل بعيدة كالفجر « منية النفوس »[3]

حفرت نحوها جبال الملح والقصدير

وكالضرير

وقفت حائر الخطى

---

(١) عيروط أو عيروض خادم من الجان لسيف « السيرة الشعبية ».

(٢) نفق الدم والدخان « السيرة الشعبية » .

(٣) محبوبة سيف « السيرة الشعبية » .

يسحقني الوقوف ، أرهب المسير

متى ؟!

وأين يا مدينتي أواجه المصير

١٩ مايو ١٩٥٧

من يوميات سيف بن ذي يزن في بلاد الفرس

بلادي بعيده

وحزني قريبْ

وانفي هشيم بسجن « السعيده »

ووجهي غريب

●

صباح وقفنا على باب كسرى

نقبل أعتابهُ.. كان وجه (المدائن)

على الأفق داكن

وكان الدخان يطل حزيناً

ويكتب أحزاننا في المداخن

حول وفوق المساكن

رجال يغذون نيرانهم

خشية الموتْ

خوف الركود

ونيراننا في الحنايا.

وتحت الجفون تضجُ،

وأحزاننا دائمات الوقود

عبرنا بها فوق دجلة كان الفرات

يُغمِسها موجه فتزيد اشتعالاً

وترفده من لظاها

فينهل في الضفتين ،

وتنهمر العبرات

ورغم حريقي

ورغم انطفاء طريقي

وما خطه حول وجهي دخاني

فإني من الشرق

من عرب الشمس ، سيفٌ يماني

(الثلاثاء ٧ يوليو ١٩٥٩ م)

●

سألتُ قبور (المدائن)

عجائزها .. عن أبي ذي يزن

وكيف ثوى خلف « تلك المدافن »

●

وكان أبي شاعراً يتغنى على باب كسرى
ويقرع بالكلمات الحديد
ولكنه مات لم يسمع القصر شكواه
لم يحتفل بالنشيدْ
فجئت لأبحث عنهُ
لأقرأ غربته من جديد
وذات مساءٍ توهجت شعرهْ
وعانقت قبره
هناك على ربوةٍ من روابي المدينه
وجدت بقايا عظام دفينه
تضيء كنافذة في صواري سفينه

وتمسح عن جبهة الليل بعض الغضون الحزينه

تقول : أحباي ..

لا تحزنوا .. إن قلبي هناك

على الشاطىء المستضام المدمى

يناشدكم

يسأل الأم أن تغسل العار أن تستحما

أما آن للجبل المستكين

وللسهل ..

للشارع المتوارى الحزين

أما آن أن تستحم الحجاره ؟

ويأخذ غمدان ، مأرب ثأره

ويُسقط فأره :

(٩ أغسطس ١٩٥٩ م)

●

تمزق حرفي

على عتبات القصور

وأثمر خوفي

وأعرق تحت ظلال القبور

●

شهورٌ تمر بأعقاب أخرى

ونحن وقوفٌ بأبواب كسرى

نقرب للنار أشعارنا والشجون

فلا النار تشبع منها

ولا « الشاه » يفتح باب السجون

يقولون : يوما سيرسل بعض العصاه

وبعض الحفاه

ليدفنهم في أعالي اليمن .

فيبكي الخليج

وألمح أطلال غمدان غارقة في النشيج

ويصرخ في قبره « ذو يزن »

فلست لهذا تغربت

لست لهذا تركت الديار

ديار السيوف التي شربت من عيون الزمن

وما جئتُ مستجدياً للرجال

ولكنني جئت أطلب من صاحب التاج

باسم اليمن

وباسم كراهتنا للدخيل

بأن يتحدى الزمن

ويمنح أبطال « حيرتنا » إذناً بالرحيل[1]

---

(١) ليس صحيحاً ما أشاعه بعض المؤرخين من ان سيف بن ذي يزن المناضل القومي ، وبطل الأسطورة المعروف ، قد قام برحلتي استجداء إلى بلاد الروم ثم إلى بلاد فارس طلباً لعون هاتين الحكومتين ضد الغزو=

لتحمي أسيافهم فجرنا في « عدن »

(الثلاثاء ١٥ فبراير ١٩٥٩)

تراب بلادي ذهب

وحصباؤها درر ولآلىء

ومن صخرها كان عزم العرب

ووهج الزمان وسحر الليالي

●

الحبشي . والحقيقة التي تؤكدها وقائع التاريخ أن سيف بن ذي يزن قد غادر اليمن فعلا لطلب العون ولكن ليس من فارس والروم وإنما من ابناء وطنه من المهاجرين اليمنيين الذين كانوا في ذلك الحين قد كونوا امارتين عربيتين على حدود الدولتين الكبيرتين ، وكان ارتباطهم بهاتين الدولتين وراء رحلة سيف إلى عاصمتي « بيزنطة » و « فارس » .

وفي كتابي « مقدمة تاريخ اليمن » مناقشة مطولة لهذا الموضوع ولفكرة « العقدة اليزنية » كما عرض لها بعض الكتاب والسياسيين اليمنيين . الكتاب ماثل للطبع .

يقول الوزير :

لقد سمع « الشاه » قصتكم

سوف يمنحكم بعض مال

كأنا قطعنا ظهور الصحارى وصمت الرمال

ليمنحنا – محسناً – بعض مال

بصقت عليه

وألقيت في وجهه ثورة الانتظار

وقلت له باحتقار :

سنمنحكم نحن أكثر

أمالا تريدون – يا سيدي – أم رجال

لنعبر أسوار قيصر

لنحفر أحقادنا في القرار

أتحسب أن بلادي رمال ؟

لماذا يحاربنا الروم !

يأتوننا من أقاصي الشمال ؟

أذاك لأن بلادي فقيره ؟

تريدونها أن تظل أسيره ؟

ألا جمدت في العروق الدماء

ولا نبضت نجمةٌ في السماء

ولا عانق الجفن وجه الظهيره

إذا كنت أسعى لمال

وأركض خلف خيال

وأركب ريح المحال

(١٦ اكتوبر ١٩٦٠ م)

●

قرأت النجوم

زرعت سؤالي بوجه القمر

فغابت نجومي

وغاب سؤالي وراء الغيوم

وعدت بلا بصرٍ أو خبر

●

وذات صباحٍ

رأيت على الأفق « هدهد »

على عينه أثرٌ من جراحْ

وفي صوته غربة وترددْ

فناديته ،

حطّ في فرحٍ وانتصارْ

وقال :

أخيراً وجدتك بعد طويل انتظار

بلادك تدعوك

شعبك يدعوك في قلقٍ واحتضار

لقد مات جلادهم من سنين

ولكنهم أخفقوا بعده في اختيار الطريق

كما أخفقوا في اختيارهم الحاكمين

فتاهوا ..

وعادوا إلى النبش حول القبور

وحول القصور

فراراً .. وبحثاً عن الظالمين

تعال لتسكب في دربهم بعض نور

لتكتب بعض سطور

لتشعل شمعهْ

لتمسح دمعه

فهم واجفون

وهم ميتون

يكاد النهار على أفقهم أن يموت

ويحتضر الله .. والعقل .. خلف معابدهم

في البيوت

وأغمض عينيه في حلمٍ واستدار

وودعني باكياً ثم طار

(٩ سبتمبر ١٩٦٠)

يومية بلا تاريخ

غفرت تغفر اليمنْ

غفرت يغفر الزمن

ذنوب كل خائنٍ

سوى ذنوب خائن الوطن

●

الشمس خجلى ، وأنا والليل والنهار

ومثلما لم تخجل الجبال حين نام السود في فراش امي
ليلة الإعصار

تناثرت خجلى ، تلفعت بالعار

حين رأيت ـ قادماً ـ وجه المغامر السمسار

يكسر سيفه على أبواب قيصر الغريب ،

يلعق الأقدام ، ينعت الدولار

كأنما عيني ارتمت على مسمار

وقفت عاريا

أنشبت في وجهي مناجل الأظفار

هتفت يا للعار

صرخت يا للعار

لكنه حين رآني أنهش القضبان

أسقط في الاحزان

مضى إلى مولاه ،

يرفع بي وشايةً يصيد في الظلام

يأكل من مواجع المأساه

يقول : شعري غاضب ثرثار

ماذا أقول ؟

كيف أمشي ؟

قامتي أقصر من صرصار

أعمدة الضياء في مدينتي تنهار

جبالها رماد

أشجارها ، شموعها سواد

سواد

سواد

سواد

اليومية الناقصة

- ٢ -

صنعاء ...

لو لم يتكسر فوق نهار شوارعك البيضاءْ

ليل الأحباش

ما كنت هنا في الثلج بدون غطاء

استجدي الدفء من الأوباش

عصفورٌ ضلّ بلا مأوى

ذهلت عن غربته الأعشاش

فبكى :

ثار ،

تغنى ،

هل تدري ثورته الأحراش؟

•

صنعاء ...

يا امرأة لا تفتأ تحبل

تزني أحياناً

وأحايين تصلي ، تتبتل

حيناً ترفض أزواجاً تأكلهم

وأحايين كثيرات تؤكل

فمتى تتعلم معنى الرفض ، ومعنى أن تقبل ؟

إني أستفهم صنعائي !! أسأل

أقرأ في عينيها الماضي

وجه الحاضر والمستقبل

أقرأ عصراً أفضل

●

صنعاء ...

من أنت ؟

أمصنع أحزان ؟

أأتون حريق ؟

منذ شهدناك ووجهك مبتل بالدمع غريق

ذابت عيناك من التحديق

لا شيء على الآفاق !

لا ظل صديق

لا وجه رفيق

فمتى تلدين المعجزة الأخرى

المعجزة الكبرى

في العين حنين

في الافق جنين

هذا المولود ...

هذا اليوم الموعود

إني أحلم أن أشهد أيامه

أن أرفع أعلامه

ان أكتب أشواق العاشق في حضرته

أن أعزف أنغامه

فمتى ؟

يا امرأة لا تفتأ تحبل

تزني أحياناً

وأحايين تصلي تتبتل

حيناً ترفض أزواجاً ، تأكلهم

وأحايين كثيرات تؤكل ؟؟

اليومية الاخيرة

- ١ -

شرَّقت باحثاً عن الصباحْ

غرَّبت في سفينة من الشجون والجراح

كان الدجى رفيق رحلتي

وكان فيها البحر

كان الريحَ والملاحْ

●

وها أنا أعود يا بلقيس

عيناك شمسي ، خمرتي

والشفتان يا معبودتي الكؤوس

فتشت عنك البحر ، والغابات ، والرموس

سألت صمت الليل حين لم تجب على سؤالي الشموس

فضاع صوتي في رماد الليل ،

ضاع في سواده السؤال

وعدت أحمل الخيبة ، أحمل الهموم والأثقال

مزقت ثوب العمر راحلاً

أبحث عن طيفٍ مسافر بلا قرار

أبحث في البراري النائيات في البحار

وحين عدت كان محبوبي هنا في الدار

يشرب حزني ، يقرأ الاشعار

ينام في انتظار

يصحو على انتظار

أواه. كم يبكي الغريب

كم تعذب المسافر الأسفار

أعود بعد رحلة الوهم ، أقبل الاحجار والتراب

أعانق الطفولة الشباب

أنفض في رحابك السراب

فلتمنحيني يا حبيبتي داراً على الجفون

مدي عليها ظلك الحنون

لكي تقيني ثورة الظنون

وقسوة العيون

فمن أنا لولاك يا معبودتي ومن أكون ؟

مسافر بلا شراع

عيناه غاصتا

وقدماه تصرخان في جنون

لشد ما هما مشتاقتان للسكون

لشد ما هما مشتاقتان للسكون

(صنعاء ١٩٦١)

من أغاني الاغتراب والثورة

حين تحضر الثورة يغيب الاغتراب، وحين تغيب يحضر. تلك واحدة من محصلات عصرنا المدهش، وليس من الضروري أن يهجر الانسان وطنه ليحس معنى الغربة ، فالغربـة في الوطن ربما كانت أقسى أنواع الاغتراب . انها عجز الانسان عن ممارسة وجوده الحقيقي ، عن المشاركة في صنع الحيـاة على الارض .

والعلاقة بين الثورة والاغتراب ربما كانت شبيهة بالعلاقة بـين المد والجزر (Full tide, Low tide) اذا حضر الاول اختفى الثـاني والفرق بين الظاهرتين أن الاولى قابلة للاختفاء .والثانية طبيعية وحتمية !!

إلى أمي

- ١ -

يذبحني صوتك قادماً مع المساءْ

يسلب من عيني بقايا النور

يمنع السكون والاغفاء

وأنت يا بعيدة المزار

مثل سجينةٍ عمياء

وقفت تصرخين في الظلام :

أعددت يا أبنائي الطعام

ولم تعودوا ، عادت الطيور للأوكار

وارتحل النهار

خائفة أنا .. وحيدة في الدار

الشوق والتذكار

وصورة على الجدار

تبكي ..

تهشمت على صخور الانتظار

- ٢ -

وتركعين يا أماه

للمرة المليون تركعين في صلاه

تبتهلين للعيون الغائبه

للبسمات الغاربه

للتائهين احترقت أقدامهم على شواطىء الحياه

وتسألين الله

(يا فاطر القلوب

يا خالق الجبال والبحار والسهوب

يا خالق الشعوب

أعد إليّ أبنائي

أعد قوافل المشردين

التائهين في الدروب)

ومثل خنجرٍ يغوص في الدماء

يسرسب الصوت الحزين في الأعماق

يلقي سحابة من الدموع والبكاء

على النجوم والآفاق

تستيقظ الثلوج في الظلام والشتاء

وتنكفي غرقى بدمعها أشرعة المنام

فخففي يا أم من نواحك الليلي من مواجيد المساء

تكاد تنطفي حزناً مشاعل النجوم

تضيء كالجحيم شعلة الهموم

- ٣ -

يذبحني صوتك قادماً مساء

يسحقني

ينثرني هباء

حين تلوحين على البعد كئيبة مهملة الشعور

تنهش وجهك الأشواك والصخور

حين تلوح الدور

كئيبة الجدران تشرب الدموع والبكاء

سيف بن ذي يزن
وحوار مع أبي الهول

ألا تتكلم ..؟

ألا تتألم ..؟

على شفتيك ، بعينيك ،عاصفة تتحطم

وبين يديك وضعت جراح اليمن

وفوق الرمال نثرت اغترابي

وما أبقت السنوات العجاف ، وأبقت رياح الزمن

ولم تُبق شيئاً سوى صرخة تتكسر

وشعر كما الدمع من عين ثاكلة يتحدر

وفي غربتي يتفجر

وكلّ مساء إذا ما غفى الرمل، نامت عيون القبور

أتيتك أشكو اليك الثبور

أبثك حزني، وأنزع عن كاهلي مثقلات الصخور

فأحلم أنك أدركت سري

عطفتَ على مشتكاي

وألمح نهراً من الدمع تقذفه مقلتاك

فتغرق في دمعها مقلتاي

وتمضي تحدثني عن أساك

وأمضي أحدث في لوعة عن أساي

تهشم أنفك يوماً

ووجهي تهشم

لا أنف لي منذ تاهت خطاي

وأبكي إذا ما ذكرت هواك

وتبكي اذا ما ذكرت هواي

وتحملنا رحلة الدمع عبر السنين

ونقرأ في الرمل ، في الصخر

أشجاننا ، الذكريات القديمه

كلانا غريب الخطى

وكلانا حزين

تفرق أتباعك المخلصون

انطوى تحت ليل الرمال الرجال

واتباعي ابتلعت شوقهم في الظلام الرمال

أتذكر حين اختفى النهر ؟

حين اختفت في الشطوط الشجر

تقدمتُ في موكب الشمس

أطلقته من سجون القدر

فعاد ،

وعاد النخيل ، وعاد الثمر[١]

وما زلت أذكر يوم أتيتَ شجاعا

لتدفع عن سور « صنعاء » « عن مأرب » هجمات التتار

وتزرع في كل دربٍ تمر به زهرة للنهار[٢]

فماذا بوجهك ؟

ماذا بوجهي ؟

أمانٍ معذبةٌ وانتظار

أمانٍ معذبةٌ وانتظار

---

(١) تتحدث السيرة الشعبية عن رحلة حربية لسيف الى الحبشة لاخراج كتاب النيل واطلاق سراحه .

(٢) إشارة الى رحلة الدعم العربي التي قام بها جيش مصر العربية لمساندة ثورة اليمن .

المهزوم

وجدته هناك عند قبر الصبر والعزاءْ

يدفن عينيه على التراب ،

ينكسرْ

ينهش صخرةً ، يركض في العراء

في قلبه يحترق الزمان والمكان والبشر

هل تعرفونه من كان ؟

كم رحلة له على رمال الأرض في البحار .. في الزمان

عيناه في سفر

أشجاره بلا ثمر

زمانه بلا مطر

هل تعرفون ذلك الانسان ؟

ما أكثر القبور في طريقه

يلهث في حريقه

ما أثقل الظلام حوله ما أبعد النهار

في صمته إعصار

في صوته حريقٌ هائل الدمار

كان المغنى في مساء الصمت والعذاب

كان الرفيق والكتاب

وقبل أن يجيء الفجر باعه الصحاب

من لحمه كان الشواء

من دموعه تناولوا الأنخاب

الله !! لو مرت على الموائد الكئيبة الذئاب

لأجفلت

لعافت الغذا

لما أطاقت المثول في ظلام الحفل والبقاء

فلا تُطيلوا حول نعشه البكا

لا تسقطوا على طريقه أشواك تمتماتكم ، لا تزرعوا الآهات

ولا تُريقوا حوله التنهدات

في عينه ماتت طيور الحب ،

مات الفجر والضحكات

لكن كبرياءه

شموخ روحهِ ما مات

يهوذا

يا أصدقائي .. ليس هناك أصدقاء
(ارسطو)

أنكرني وقد رآني مرةً ، ومرة في وضح النهار

كان رفيقي

كم حملت حزنه معي

وفي السجون كم نظمنا أجمل الأشعار

في قصة أكلنا

وانتظرنا في الظلام رحلة القطار

ناديت بإسمه حين بدا

لم يلتفتْ

القى على حذائي نظرة وسار

●

ماذا أثار رعبه ؟

حين رآني همَّ راجعاً

تعثرت أقدامه

الوجه كان لامعاً

والجيب كان لامعاً

وكنت أبدو جائعاً

فلاذ بالفرار

القى على حذائي نظرةً وسار

●

كان ضميري عامراً بالحب والصفا

بالنور والوفا

ولم يكن يعاني أي جوع

فامتلا المكان بالأحزان والدموع

وابتلع الطريق جثة الصديق

أطلت في غباره التحديق

وصرت أسأل الله له الشفا

كيف استدار ؟

كيف طار !

القى على حذائي نظرةً وسار

١٩٦٩

الرحلة الخائبة

قلت لروحي اهدئي ياروح فالأمل
الذي تأملين أمل في الباطل
(ت. س. اليوت)

- ١ -

وقفت عند باب الحب أعواماً

قرعت بالقلب الجريح صمته وبالأشعار

صرخت في الجدار

حتى إذا ما شاب وجه الشعر

واختفى في القلب لون النار

انفتح الباب ولكن ..

لم يكن هناك محبوبي

وليسْ خلف الباب من أحدْ

- ٢ -

ركبتُ موج البحر

حلقت بي - مصعداً وهابطاً - سفينة الفضاء

فتشتُ وجه الأرض والسماء

بحثت عن صديق

نحلم في رحلتنا معاً ، نحمل وحشة الطريق

رجعت خائباً

ما كان في الأرض ،

وليس في الفضاء من أحد

- ٣ -

ذهبت عند حفار القبور

كانت ملايين الجموع حول بابه تقدم النذور

تستعجل الحضور

لكنه مضى ولم يعد

أخافه الزحام

أذهله الخصام

ففر هارباً...

من يحفر القبور..؟ بعده؟

من يحفر القبور؟ لا أحد

- ٤ -

فأين أخفي عورة العمر؟

بأي غابةٍ أواري وحشة الأيام

تأكلني الوحدة يستفزني الزحام

صليت لله .. وللشيطان

عبدت وجه الكفر والإيمان

سجدت للأوثان

لكنني كما بدأت ... في الظلام

وليس في الظلام من أحد

بكائيـــة

بالأمس كان هنا...

يحب الأرض، يعشق كل صخره

يتعبد الأمطار، يرشف بالمآقي كل قطره

قد كان يحمل صورتي وإسمي، وأعرفه وسره

واليوم عدت، فلم أجد وجهي

ولم أعثر على ظلٍ لصوتي

ان كان مات فأين قد أخفوا عن الأيام قبره؟

ومتى أعانق وجه موتي

اني سئمت من الطواف ، ومن نداءاتي وصمتي

وسئمت الوان النهار

ذهب الذي قد كان يعشقها

يصلي حين تشرق في انبهار

وبقيتُ في لون الترابْ

لا لون لي

أكلت بريق الأمس في عيني رياح الاغتراب

سحب الشتاء المر تهطل في دمي

في قلبي المهجور يمتد الضباب

تمتد أشجار السراب

أترى يعود ؟

ذاك الذي قد كان يحمل صورتي

واسمي

ويضحك للتلال

لا شيء من خلف الغيوم

أصوات أغربةٍ وبوم

وعجائزُ الموتى الغريقة والظلال

تبكي وتنتظر الرجال

العائدين من النجوم

يا ويح أسوار الظلام

اترى ستفتح ثغرةٌ للعائدين ؟

لأراه أسمع صوتهُ

أحكي له الشوق... الحنين

لأبوح للوجه القديم

بالسر أحمله معي

نجري حفاةً نستعيد براءة الأمس الدفين

إني تحطمت ، اختفى ظلي على الدرب العقيم

وتناثرت أشلاء أمسي

اقفرت عبر السراديب الطويله

جسدي يموت ،

ويشتبكي عمري أفوله

المعري السجين

الى الصديق الشاعر الكبير
عبد الله البردوني في سجنه الثاني (*)

لأنه يرى همومنا

أحزان عصرنا بلا عينين

يرى تململ النجوم

يلمح انكسار النور في « الشطرين »

عيناه ذابتا في ليلنا الضرير

(*) في عامي ٦٨ و ١٩٦٩ امتلأت السجون بالمناضلين وابطال الصمود ، وأشيع في نفس الفترة أن صديقي وزميلي الشاعر الكبير عبد الله البردوني قد كان واحداً من السجناء فكتبت هذه التحية .

شمعتين

دمعتين

لأنه يقرأ في الظلام

ما تكتبونه

ما تذخرونه لشعبنا من الأوهام

لأنه يصنع أعيناً جميلة ، أجنحة للصمت .. للكلام

زرقاؤنا تطل من لسانه الحزين كل عام

تقول للامام

« يا صانع الظلام

ما زلت بيننا

أشباحُك ، الوشاحُ بيننا

تشرب من دموعنا ومن دمائنا

تنهش في العظام »

لأنه إنسان ..

لأنه فنان ..
اشعلتم القيود في يديه
أطفأتم النهار في عينيه
فأي لعنة وعار
يا « فارس » الاحزان والدمار
يا أيها المحارب المغوار
أول مرة تخوض حرباً ثم لا تلوذ بالفرار !
أول مرة تحقق انتصار !!
فواصل الزحف على القصائد ،
انتقم من الحروف
يا فارس الظروف
ثبت قيودك الثقال في القمر
امنع حقولنا عن الخصب ،
امنع الشجر

عن الثمر

●

يا فقراء شعبنا
يا أيها الجياع السائرين في انكسار
لا تكفروا بالكلمات .. بالاشعار
فربما غداً
بعد غد ستهدم الأسوار
تزرع النجوم في ظلامكم
ستزرع الثوار
وأنت أيها المناضل الضرير
يا من ترى بعينيك العجيبتين باطن المأساه
ترى الذي نراه
والذي لا نستطيع أن نراه
بالكلمات البكر تذبح الطغاه

عيناك مثل عيني وطني

تنتظران الفجر تحلمان بالضياء

خلفهما زرقاؤنا ، بالكلمات الخضر بالأشعار

تقرأ حزننا

ترى تململ الأشجار

تزرع في الصحارى الظل

في الجليد تذكي النار

مغمضتان ..

في انتظار القادم المسيح

هل سيطول فيهما عذابنا .. انتظارنا الجريح ؟

نهارنا الذبيح ..؟

إني أراه قادماً يصيح

أراه قادماً يصيح

أخت ميدوزا[1]

مدخل :

ساحرة ؟ نعم

رائعة الخطى

جميلة السفوح والهضاب والقمم

دافقة النغم

لكنها حين تراك عيناها

---

(١) ميدوزا في الاسطورة فتاة رائعة الجمال غضبت عليها الآلهة فجعلتها كلما نظرت إلى إنسان حولته إلى حجر .

يراك فيها الموتُ ويضحك العدم

الحكاية :

عيناكِ مثل عينيها
أتذكرين ميدوزا ؟؟
وقلبها كقلبك الحجر
منذ التقينا ، لم أعد أهوى
ولم أعد أبكي
ولم أعد من البشر
بالأمس كنت انساناً
أخاف الليل ، أعشق الشمس ، أهيم بالمطر
عيناي كانتا بحيرتي حزنٍ
غسلتُ فيهما وجوه الناس والشجر
حتى القمر

هذا الذي يطل واجماً من الفضاء

نقعته في دمع أحزاني

نسجت حوله سحابةً من البكاء

أقمتُ مأتماً في الأرض

ثم آخراً أقمته هناك في السماء

واليوم .. أخت ميدوزا

أبحث في الأغوار ، في القيعان

لو دمعةً

لو دمعتـــان

تغسلني

ترجعني لآدميتي

تعيد لي كآبتي

وفرحتي

تمسح عن جبيني الحجري ظل الموت والصدأ

تشعرني بأن لي يوماً

وأن لي غدا

وأن أيامي على طريق العمر لم تكن وهماً

ولم تكن سدى

فمن أنا الآن ؟

تحجر الإنسان فيّ والألم

تجمد الصوت

تبلد الاحساس والنغم

ومن أكون ؟

أقفرت الوجوه من حولي

تخشبت في وجهي العيون

أتسمعين صوت مختنق ؟

ضراعتي ؟

شدي رموشك الطوالْ

أطلقي سراح جثتي

ردي عليّ نعمة الحزن وفرحة الضلال

لا تتركيني هكذا ملقى على الرمال

كطللٍ من الأطلال

أقسمت لا أركب زورقاً يُبحر في العيون

يرحل في الظنون

جربت مرةً، ومرة

لكنني خسرت رحلتي

رجعت، لا رشدي معي ولا الجنون

خروج :

الحب أن نحيا، وليس الحب أن نموت

أمطاره تذيع نفسها

للزهرِ، للندى، للحجر الصموت

لنملةٍ عاشقةٍ

لسرب عنكبوت

أشجاره تعيش في الشمس ، وتهجر البيوت

أنغامه ترفض قاعة الرعب

وترفض السكوت

اعتذار

دمعة على قبر مجهول للجندي المجهول
في أحداث السبعين الخالدة ...

معذرةً

معذرة الجبال والجنودْ

معذرة الصمود

معذرة المدينة التي حملتها في القلب

عن أسوارها رددت – صامداً – جحافل الأعداء

حفظتَ في أجفانها الضياء

معذرة النهار

معذرة الأشعار

معذرة وأنت مصلوبٌ على الطريق

وأنت في الحريق

تنهش عينيك الحبيبتين بومةُ الندم

والخائنون يهتفون للعدم

معذرة التلال والقمم

معذرة الدموع والألم

معذرة « البن » الذي ارتمى تحت صخور « القات »

هوى مضرجاً عاجله الممات

أنسامه لم تنعش الحقول ، لم تداعب الغيمات

معذرة يا فارس السبعين

يا فارس الليالي الخضر والنهارات النبيلة الجبين

معذرة الفرسان والمحاربين

معذرة المناضلين

●

بعدكِ فارسَ النور

وبعد فجرنا الذي رحلْ

وجوهنا داكنةٌ أفواهنا دميمة الألفاظ والقبل

أيامنا يذبحها الملل

العار قابعٌ خلف العيون والخجل

ترحل عن أجفانها جحافل الذباب وهو لا يرحل

كيف انهزمنا؟

كيف نام الصمت في الشفاه ؟

كيف خنقنا الآه !

كيف ارتضينا أن تموت بيننا ؟؟؟

أن يسقط « السبعين »

معفر الجبين

يمضي بلا قبر ، بلا أحزان

كأنه ما كان

كأنه ما كان

●

فلتشهدي يا قمم « الطويل »

وأنت يا زهور الشمس في « عيبان »

أني خرجت في مساء الصمت أبكيه وأعلن العصيان

أطيل من حول الجنازة العويل

أغسل بعض العار عن وجهي

وعن عيون الجيل

أبحث في الظلام عن « أخيل »

فلتشهدي يا قمم « الطويل »[1]

١٩٣٩

---

(١) الطويل ، جبل عال على مشارف صنعا العاصمة .

الرحلة الثانية لسليمان الحلبي

(١) سليمان الحلبي مناضل عربي من سوريا اغتال بخنجره « الجنرال كليبر » قائد القوات الفرنسية في مصر اثناء الحملة الفرنسية .
اعدمه الفرنسيون في مصر في ١٧ / ٦ / ١٨٠٠ م

— ١ —

كانت الغيمة تبكي

فوق سور القلعة المهدوم ، كان الوقت ليلْ

وجياد الفارس المهزوم عند الباب تشكو ألف ويل

سقطت « حطين »

في عمان آلاف الحرائق

غرقت سيناء ، وجه القدس دامٍ ، اخوتي فوق المشانق

جثتي في « حلب » العمياء

في « الفسطاط » رأسي ، ودمي نهر الفرات

وبلادي أمةٌ منزوعة العينين في سوق الغزاة

لم تعد تجدي طبول الكلمات

غرق الحرف ،

هوت رايته الخضراء في (الأغوار) في المرتفعات

لفظ الروح ومات

فدعوني مرة أخرى إلى الفسطاط أرحل

ربما عاد (كليبر)

يزرع النيل بسود الخطوات

وعلى الاهرام كالفرسان يعلو

كالبغايا يتكسر

- ٢ -

كانت الأصوات من حولي تنادي
إنها أصوات (قنديل أم هاشم)
ونداءات الحسين :
– أن في عنقك دين
– أن في عنقك دين
– وعدو الشعب قادم
– وعدو الشعب قادم

- ٣ -

جئتُ كان النيل يبكي
وحجارات الهرم
وجه (شيراتون) دم
فمسحت البقعة السوداء أعلنتُ البدايه

كتب الخنجر فصلاً في الروايه

وشربت الرشفة الأولى من الكأس الكبيره

بإسمكم يا شهداء

باسمكم يا أبرياء

ثم صليت الظهيره

- ٤ -

يا قضاتي ...

تلك ثاني رحلة فاتهموني إن أردتم

حاكموني إن أردتم

اقتلوني إن قدرتم

إنما نفذت حكم الله في المدعو «كليبر» !

اسمعتم حين ألقيتُ عليه نصل خنجر

كيف صليت ...

ذكرت الله

قلت الله اكبر

الله أكبر

الشاعر

في الذكرى السادسة عشرة لغياب
الشاعر الشهيد زيد الموشكي .

– ١ –

وبكل أحزاني ،

بما في العين من دمعٍ

بما في القلب من شوقٍ جريحْ

صارعتُ أشباح الظلام

وقفت مقتولاً أصيح

كان الرجال هناك في المنفى

وكانت قريتي مذبوحة الأحلام تنتظر المسيح

الجوع يمضغ وجهها

والليل يشرب دمعها

لا شيء في قلب الزحام

لا شيء غير نجيمةٍ خضراء تلمع في الظلام

والشعر والأمل الكسيح

- ٣ -

ومضيت أزرع في شفاه الأرض أزهار الكلام

ومسحت عن شمس العيون السمر آثار الوحول

أطعمت لحمي للعصافير الصغيرة حين أجدبت الحقول

ومشيت بين الناس عريان العظام

فخجلت من لون العظام

قدمتها للنار ،

فاشتعلت أضاءت للخرائب والطلول

ودمي كتبت به القصائد

كل بيتٍ قريةٌ تشكو

مقاطعةٌ تصول

هل آن أن تتمرد الصحراء أن تأبى على الصمت الخيام ؟

أن يسمع الشعب الكسول ؟

- ٣ -

وذبحت صمتي

وانطلقت إلى حواري قريتي

كان الظلام مخيماً

النجم كان دليل مركبي الحزين

وكانت الأشعار زيتي

والمحبة شمعتي

صوتي غريقْ

قدماي مصلوبان في وجه الطريق

كمْ مرةً ألقت بي الأشباح في قلب الحريق

فخرجت « ابراهيم » في ثوبي

« وجبرائيل » يمسح دمعتي

أأعود؟؟

كلا . لن أعود

أصبحت أعشق كل عاصفة

تنام بقلبي الظامي ملايين الرعود

الليل ؟؟...

أعرف أنه ما زال موفورَ الجنود

الرعب ؟؟..

اني قد عرفت به الوجود

- ٤ -

ومضغت حزني ،

والتهمت مخاوفي

ومضيت .. كان « الديك » يحلم بالنهار

لم تنسه السكين - يسمع صوتها - حب النهار

سيجيء ؟

هذا صوته ،

صوت القطار

أتراه ؟

إني من بعيد ألمح الربان ،

والعجلات ،

من خلف الغبار

أأنام ؟؟

هل القي شباكي في بحار الصمت ؟

لا .. فالصمت عار

ما زال صوت «الديك» يحفر في الجدار

إلى القرار

إلى القرار

الاسكندرية

كان الفصل شتاء عندما زار الشاعر مدينة الاسكندرية لأول مرة ، كانت نظيفة ومغسولة السماء والأرض .. قطعان متناثرة من السحب البيضاء تسبح عند خط الأفق حيث يتعانق البحر والفضاء ، بينما أسراب من الضباب الأخضر الخفيف تعانق سطوح المنازل العالية كان ذلك في يناير ١٩٦٣ أعاد الشاعر صياغة القصيدة وحذف منها واضاف اليها عام ١٩٦٨ .

ورفتْ على شاطىء الغيم ،
لاحت لنا من بعيد
على صفحة الأفق الذهبي الشعاعْ
كحوريةٍ تستحم على البحر
اغنيةٍ في الفضاءِ المديد
« كيوتوبيا »[1] في خيال العبيد
كقافلة في الصحارى
تدندن أجراسها بعد رعب الضياع
كلوحات « جوجان »[2] مرسومة في شراع
وحين احتوتنا بأحضانها
كان (شط الهوى)
(لفيروز) يغسل شطآنها
ويلون أحجارها ، ويضيء الطريق

---

(١) « يوتوبيا » مدينة الأحلام .
(٢) رسام شهير من زعماء المدرسة التأثيرية .

ويزرع خلف النوافذ ،

خلف العيون الشروق

وعطر الضحى يغسل الأرض

يمسح وجه المدينة بالنور

يفرش جدرانها بالبريق

وعاشقها الأول البحر كان يغني

ويلهو ،

فترقص أوراق كل الشجر

وترحل في الشمس « سوناته.. »[1]من خيوط المطر

وأقدام فينوس[2] عالقة فوق صدر الرمال

و « باخوس »[3] يرقص من حولها رقصات الغجر

ويشرب نخب الجمال

●

---

(١) السوناته القطعة الصغيرة من الموسيقى أو الشعر .

(٢) الهة الجمال .

(٣) إله الخمر .

قذفنا إلى الموج حزن السنين

وفي الشاطيء الذهبي خلعنا العيون القديمه

خلعنا مواجعنا والهوان

نسينا جراح الزمان

نسينا الزمان

نسينا المكان

نسينا انتصاراتنا ، ونسينا الهزيمه

●

رفاقي ...

سألتكم الله إن سأل الحزن عني

وان سألت عن مكاني عيون الشجز

فلا تخبروه ..

ولا تخبروها ..

وقولوا : مضى ..

ربما خلف حلم الزمن

فإني سأسلم للموج نفسي

سأرحل لو مرةً في النعاس

وفي الرمل أبحث عن « ذي يزن »

●

وحين يجيء الغروب

وترحل في سفن الليل شمس النهار

ومن أفقنا تتدلى حبال المساء

سأهبط للبحر

أغسل روحي بأمواجه ،

في مياه الصفاء

فاني فقدت جمال الرشاد بعالمكم

وفقدت نهار الوفاء

الاسكندرية ١٩٦٣ - ١٩٦٨

دموع على الدرب الاخضر

في جناز فقيد الكلمة الشاعر
لطفي جعفر أمان .

وانتصر الشعر

امتطت خيولهُ أجنحة الشمس إلى السماء

من غير أوزان بلا بحورْ

تسلقتْ أنغامه وجه النجوم ،

اخترقت حواجزْ الفضاء ، حطمت حوائط الظلماء

واستسلمت في دعةٍ للنور

والشاعر الذي عاش على الأرض جناحه مكسورْ

وصوته مأسور

عيناه كانتا هناك

تفتشان الأفق تبحثان في الأفلاك

عن عابرٍ .. ملاك

يشدُّ من غبار الطين

وجه المسافر الحزين

ابن النهار الأسود الباكي

حفيد الحزن والدجى المهين

●

وانتصر الشاعر مدت السماء كفها

رقت على المسافر الجريح

أعطته شارة التصريح

فانتفضت جراحه ، واعتصرت بقية الألم

وانطلق الذبيح

كموجةٍ عاطرة من النغم

●

يا شاعراً فوق الدروب الخضر أشعل الشموعْ

أهرق روحه العطوفْ

وقلبه الشغوف

أغنيةً للحب .. للجموع

جئناك في بحر من الأحزان

في موجٍ من الدموع

ونحن لا نبكيك

لكننا اليك نبكي قسوة الظروف

ومحنة الحروف

ملعونةً .. صفراء

ملعونة .. حمراء

مكتوبةٌ بالماء فوق الماء

أبناؤها مغتربون في الضحى عُراهْ

تنهشهم كلاب الليل والعيون العور

تسحقهم أحذية الطغاة

كيف استطعتَ أن تفلت من شباكهم

كيف استطعت أن تموت ؟!

ما أعظم الإنسان .. يستطيع أن يموت !

يسلِّم حزنه العظيم للتابوت

والجسد الهزيل للمنام

وروحه الحزين للسلامْ

من الموزون المقفى

منذ عام ١٩٦٠ – وربما قبل ذلك – وحتى عام ١٩٧٠ كتبت مجموعة كبيرة من القصائد العمودية ، ثم حاولت منذ عامين جمع هـذه القصائد في ديوان مستقل بعنوان « أناشيد الغسق » ورتبتها في قسمين :

أولاً : من أناشيد الغسق الاول .. قبل الثورة

ثانياً : من أناشيد الغسق الثاني .. بعد الثورة

و « الغسق » في اللغة يدل على بداية الليل ونهايته ، و « الغسق » الذي أعنيه هنـــا هو غسق ما قبل الفجر ، الظلام الذي يسبق النور .

وقد رأيت أخيراً أن اكتفي بنشر هذا القدر من قصائد « الغسق » لا لأنها أحسن ما في المجموعة العمودية وانما لأنها تشير إلى جانب من قضايانا التي لا تزال تثير اكبر الاهتمامات ويبقى موضوع الشكل وقد تعرضت له بشيء من « الشطط » في مقدمة ديوان « مأرب يتكلم » وسوف أرجع إلى هـذا الموضوع في أماكن أخرى .

من أناشيد الغسق الأول :

رسالة الى الله

اليك ما من «خطابٍ» غير أحزاني
ودمعةٍ تتهادى خلف أجفاني
شددت للنوح أعصابي وفي غضبٍ
ألقيتَ بي يا إلهي بين نيراني
فأثمر الألم المجنون عاصفةً
وخففتْ كلماتي وزن إيماني

جحيم خلقك يتلو موتهـــم وأنا
معجلٌ فجحيمي حــاضرٌ آني
صرخت حين اشتوت روحي يعذبني
صوتي وأشعلني خوفي وأدماني
تلفتت عينيَ الغرقى فمـــا وجدت
إلا هيـــاكل عظمٍ فوق أبدان
مددتُ كفي وقد شاطت أصابعهـا
في النار واحترقت في ليل حرماني
أدعوك والليل في (صنعاء) ما برحت
نجومـــهُ بين جلادٍ وسجان
وأُمنـــا خلف سور القصر تنهشهـا
عصابةٌ من تمـــاسيحٍ وجرذان
لهفي عليهـــا تعاني كل كارثـــة
وتشتوي في جحيم قـــاتمٍ قان

على رماد بنيها السمر عاكفةٌ
تهز بالنوح وجه العالم الهاني
إن كنتَ قربانها للنار قد رضيت
نفسي فما ذنب أحبابي وأخواني ؟
دعهم يعيشون في دنياك ضاحكةً
أفراحهم كطيور المربع الحاني
إني أناجيك من أعماق محرقتي
فهل تجيب نداء العاثر العاني ؟

صنعاء ١٩٦١

نحن .. والشعر*

كل نجم لم يحترق لا ينير

فاحترق ينجلي الظلام الضرير

احترق! فالنجوم تحرق في الليل

وتفنى ، ليهلك الديجور

(*) في أوائل عام ١٩٦١ نشرت صحيفة « النصر » في تعز هذه القصيدة فأثار نشرها حملة هجوم ساخطة ، كان معظمها أو كانت كلها من أصدقاء وزملاء أعزاء أحببتهم ولا زلت ، وقد جرهم إلى ذلك الموقف الساخط ما توهموه من تصور خاطىء ان القصيدة تنتقص من قيمة أشعارهم العظيمة ، في حين أنها قصيدة تبحث عن الجديد وتؤرخ لفترة تململ في الشعر رافقت مرحلة التململ السياسي .

مالنا ؟ مالنا ؟ نغمغم كالبوم
وكل بصوتـــه مغرور
مـا لأشعارنا بدت كطلولٍ
تركتها على الدروب الدهور ؟
كل بيت فيها كبيت من الترب
عليه – يا للبيـان – صخور
الهمت غيرنا الحيـاةُ قصيداً
عبقرياً والهمتنا القبور

سجنتنا الاوزان في قمقم الشـ
ـكل فعافت عن الخيال البحور
كم نبشنا عن القوافي كتـاباً
فشكت جهلنا المبينَ السطور
وخرجنا نسيل شعراً مقفى
رقصت روعـةً عليه الحمير

●

يا حماة البيان في عالم الشعر

إلى أين بالبيـان المسير ؟

الخفافيش دنست قمـم الفن

فأين الصقور ؟ أين النسور ؟

كل من ينظم الكلام أديبٌ

عبقريٌ وشاعرٌ مشهور

لم يجف الالهام في عـالم الفن

ولا بح نايُه المسحور

سكنت في الذرى بلابلُه الفصح

وغنى الغرابُ والصرصور !

تعز « صحيفة النصر » ١٩٦١

دميمـــة*

لا تغرقوهـا بألوانٍ مزيفة

لا تثقلوها بأشكال من الدررِ

---

* الدمامة والجمال في الانسان - الرجل والمرأة - قضية نسبية فلا وجود للجمال المطلق ولا القبح المطلق . وهذه القاعدة تنسحب على بقية الأشياء ومنها الأنظمة والقوانين.ولكن الملكية في اليمن - وهي « الدميمة » في هذه المقطوعة - كانت قد وصلت من الدمامة والقبح إلى حد تعتبر معه تلك المناقشات التافهة في أعوام ٦٠ - ٦١ - ٦٢ عـن الملكية الكلاسيكية ،والملكيةالحديثة ،والملكية الدستورية واللادستورية ، تعتبر هذه المناقشات شذوذاً ودمامة أيضاً . وقد قررت نشر هذا الجزء من القصيدة في هذا الديوان وفي هذه الظروف بالذات،لأن أصواتاً رجعية ترتفع الآن، مستغلة انحراف بعض المحسوبين على النظام الجمهوري،للترويج لأفكارها القديمة .

قد تجملون من الأصداف جوهرة

وتنحتون أعاجيباً من الحجر

لكنكم لن تعيدوا عالم امرأة

مشوه الظل ممسوخ من الصور

دميمة الشكل والمضمون عاجزة

عجز الصخور عن الأخصاب والثمر

تبذلت عبر أجيال وأزمنة

ولم تلد غير أفاكٍ ومحتكر

والله لو زينوا بالشمس معصمها

وزينوا الصدر بالأفلاك والقمر

ما خففت من جبال القبح شاردة

ولا أمالت اليها وجه ذي بصر

فاشفقوا بجفون ضاع ناظرها

وخففوا من طلاء الوجه والشعر

ليس الجمال باصباغٍ ملونةٍ

أن الجمال هدايا خالق البشر

١٩٦١

●

عتـــاب

لم أكن قد قدمت اليهـــا شيئاً ومع ذلك
عاتبتها فلتغفر لي - إن شاءت - هذه الخطيئة

يائسٌ منك فايأسي من لقائي
ودعيني لغربتي وعنـــائي

فيك أخلصتُ واحترقت وعانيت
وجاهــدت في سبيل اللقـــاء

يا بـــلادي وأنتِ لم تمنحيني
غير أذنٍ مثقوبةٍ وتنـــائي

كلما شيع الزمان نهاراً
من حياتي في الغربة السوداء

ودعته بلا صلاة دموعي
وبكته بلا أسىً كبريائي

كيف أهرقته على غير أرضي
ولماذا دفنته في العراء ؟

كان أولى بأن يكون شعاعاً
في بلادٍ لم تكتحل بالضياء

في ضميري زلازلٌ في دمائي
ثورةٌ عالمية الانتماء

غير أني إلى بلادي مشوقٌ
كل عينٍ تهفو إلى « صنعاء »

قبلتي حائطٌ عتيقٌ وأطلا
ل على ذلك التراب النائي

وسراجي اذا تغور المصابيح

نجـــومٌ تغفو بتلك السماء

فلماذا لم تذكريني أحبي

يا بلاداً تقيم في أحشائي

بح صوتي ، على الجبال ، تكسر

ت عـــلى كل ربوةٍ خرساء

أكل الليل ضوء عينيك ، أغفى

تحت جفنيك هيكل الظلماء

فلمــاذا لم تغضبي ؟ لم تثوري

أي قلبٍ لصخرة صمــاء

لا دموعي تهز ذرة رمـــل

في موانيك ، أو يهز غنــائي

أسفي أن أموت يوماً غريباً

ودم الشوق صارخٌ في دمــائي

الخرطوم ١٩٦١

من أناشيد الغسق الثاني :

نشيد الذئاب الحمر*

ذئابٌ نحن فوق جبالنــا المشدودة القامه

نصيد الفجر ، ننسج للضحى، لنهارنا،هامه

وننقش في جبين الشمس موكبه وأعلامه

ونحفر للدخيل القبر ، نسحقه وأغنامــه

●

* الذئاب الحمر : اسم أطلقته الصحافة عالمية على أوائل المناضلين في جنوبنا الحبيب في بداية الكفاح المسلح .

ذئابٌ نحن، لا زرقٌ ضمائرنا ولا حمرُ
نموت لكي تعيش بلادُنا، أطفالُنا السمر
وتأبى أن تهونَ جبالُنا وترابنا الحر
فإما النصر نزهو في مواكبه، أو القبر

●

حملنا جرح أمتنا نضمده على القمه
نسير به، نطير به، نغمسه على النجمه
وماذا نحن، إن خانت مشاعرنا هوى الأمه
وأغفينا على الأحزان منطرحين في الظلمه؟

●

ذئابٌ نحن حين تضج تحت الغاصب الأرضُ
ملائكةٌ إذا عادت إلى أبنائها الأرض

وموت مناضل في درب أمتنا هو الفرض

على الأعداء كالعقبان كالنيران ننقض

●

على وكر النسور .. هنا مواقعنا على ردفان

نثبت راية التحرير نرفع راية الإنسان

ونكتب للزمان قصيدة ذهبية الألوان

قصيدة حبنا لديارنا للأهل .. للأوطان

●

وعند الشمس ندفـــــن كل يوم شمس قتلانا

ولا نخشى اقتحام النار،وجه النار يخشانا

يكاد الليل ينصعقُ .. يذهل حين يلقـانا

وتحتضن النجوم نشيدنا ، وتعيد نجوانا ..

●

غداً سنعود للسهل الحزين ، نعود للأطفال

ومن ردفان نحمل للشواطيء شعلة الآمال

ونطعم جوعنا للبحر نعطي للدجى الأسمال

غداً سنعود يا أحبابنا ، سنعود يا عمال

صراخ في ليل بلا نجوم

إلى الزميـل (ع. ن.ج.) ذكرى يوم
عظيم سهرنا ليلته الكبيرة حتى الفجر.

سمعتها عند الدجى صائحة: ما أشبه الليلة بالبارحه
سمر الجمـاهير اللواتي بما كانت تغني أصبحت نائحه
تعثرت أقدامها، اجهضت أحلامها في لحظة جامحه
تفلتت من زمن كالح واستقبلت أزمانها الكالحه
ومزقت أظفارها جارحاً الى وحوش مثله جارحه
تصرخ في ليل بلا أنجم وتغتذي أحزانهـا المالحه

مسكينةٌ مات بأعماقها   نبض الأماني الحرة الطامحه

تنفر من ماض ومن حاضر   وحول أشلاء المنى سابحه

كانت تغني لغدٍ باسم   فكان هذي الطلعة الماسحه!

لكنني ألمح خلف الدجى   أقمارها المهزومة النازحه

تعالج القيد بإصرارها   تعد أخرى ثورة ناجحه

أقسمت، أقسمت بوجه الديار

بالحزن منقوشاً على كل دار

بكل قبر خلف أحجاره   ينام ـ منسياً ـ شهيد النهار

أن الجماهير التي اسقطت   أحلامها في لحظات انكسار

لن تمضغ القيد، وفي حزنها   تمردٌ طال به الانتظار

لا تيأسوا منها فكم نائمٍ   صحى على رعب الخطايا وثار

سيتمبر المشلول لما يزلْ   على رباها دائم الاخضرار

قالوا انتهى، مات، على رسلكم

الشمس هل يدركها الاحتضار؟!

أكاد أن ألمحه قادماً يوزع الأرض، ويعطي الديار

يمسح عن أيامنا رعبها وعن عيون الكادحين الغبار

أعبده ، أقرأ في عينهِ أحلامنا والأغنيات الكبار

أغنية قديمة للحب والحرية

في ظل قصيدة قديمة للشاعرة
الأسيرة فدوى طوقان .

مهما يطل ليلك يا موطني ... فيشتكي السفح، وتبكي القمم
ويزرع الموت على افقنا ... موتاً، وتطوينا رياح العدمْ
وتنهش الأحزان أجفـ ... ـينكفي في الحدقات الألم
فإن لليل ـ غداً ـ آخرٌ ... مهما ترامى حولنا واد لهم
(ستنجلي الغمرة يا موطني ... ويمسح الفجر غواشي الظلم)
ويضحك الحقل ووجه القرى
وشجرات « البن » فوق الأكم

وبيتنا القابع خلف الدجى سيضحك النور به والنغم

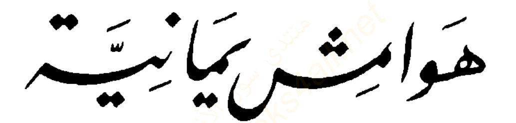
أشمارنا من حوله سوسنٌ وحبنا نهر عميق الكرم

والنور والأطفال في ساحه أنشودة نشوى وحلمٌ أشم

(فالأمل الظامي مهما ذوى لسوف يروى بلهيبٍ ودم)

وفجرنا ـ رغم الدجى ـ قادم وصوتنا الباكي يهز الرمم

فلتنتظر يا موطني زحفنا نحن وقوفاً تحت ظل العلم



على تغريبة ابن زريق البغدادي

هوامش يمانية

على تغريبة ابن زريق البغدادي

(ترك ابن زريق بغداد ، وترك فيها زوجته التي أحبها كثيراً ، وفي النهاية مات ابن زريق كمداً في الغربة ، وعند وسادته عثروا على قصيدته التي يتحرّق فيها شوقاً إلى الحبيبة التي اضطر إلى هجرتها تحت وطأة الفقر و ...)

●

بكى ... فأورقت الأشجان أدمعهُ
وأثمرتْ شجرَ الاحزانِ أضلعهُ

النار تكتب في عينيه لوعتهُ
ويحفر الشوقُ فيها ما يلوّعه

ناءٍ تغرب في الأيام زورقه
وتاه في ظلمات الارض مشرعه

تغرّبت في نواه كل نافذة
من خلفها الوطن الدامي يروّعه

ما ليلةٌ من بنات العمر مهدرة
إلا وتؤلمه الذكرى وتوجعه

ترى يعود الى أحضان قريته
تضمّه الغابة الثكلى وترضعه

عيناه ما ذاقتا نُعمى ولا عرفت
جفونُه الغمضَ الا طاف يفجعه

ينام في عدن في حلم يقظته
وينثني وعلى الأشواك مضجعه

ويشتكي «لِذَمار» همّ رحلته
فتنكر الريحُ شكواه، وتبلعه

تقاسمته الدروب السود واشتعلت

أقدامه ، في فيافيه ، وأذرعه

عيناه في المنفى

تحدقان للرماد

تحترقان شوقاً عاصفا

لعل « رخ » سندباد

ينهض من رماده

يعيده للوطن القاطن في أعماقه .. للوطن الميلاد

لم تصنع الأماني الخضرُ منفاه

ولا توهجت في قلبه أحلام سندباد

لم يهجر « الكرخ » لأنه أحب المال —

مال الأرض في بغداد

والشرق والغرب سحابةٌ تمطر في بغداد

لكنه أحب وجه الشمس ،

خبنا « الكرخ » ووجه بغداد ملطخٌ بالقار ، بالسواد

فاحتضن الرحيلُ وجهه البائي

أسلمَهُ المنفى إلى المنفى

من قبضة الظلام الوثني للظلام

والقمر الذي ودّعه بالأمس

يرتمي في الأسر ..

تأكل القضبانُ وجهه الجديد

من ينفض الأشجانَ حول قبرهِ ؟

من ينفض الرماد

تقيّحت أيامه رعباً

تناثرت على طريقه أسئلةٌ جريحة الأبعاد

ماذا أكون ؟ لمن أبكي ؟ ألا وطن

في ظله يرتوي عمري ، وأزرعـــه

قـــد كان لي ثم أضناني تمزقه
وهـالني في ظلام الليل مصرعهُ

(ودّعتبـــه وبودّي لو يودّعني
صفو الحيـــاة وإني لا أودِّعهُ)

بعـــدت عنـه لأبكيه وأبعثـــه
من قبره . هل أنا بالبعد أخدعه ؟

أكاد ألمح عن بعـــدٍ طلائعه
تقيم جسر أمانينـــا وتشرعـه

الميّت الحيْ .. كي نشقى بغفوتـه
وكم يطيـــل مآسينا تمنعـــه

يدنو ، وينـأى ، وفي عيني مواجعه
وفي الضمير مراياه ومخدعـــه

حملته بـــين أفكاري على عجلٍ
فما تركت سوى مـا كان يفزعـه

متى تغادر كهف الأمس تهجره ؟

تعيد معبد « بلقيس » وترفعه

يا أنت ، يا وطن الأحزان ، يا حلماً

أحيا بـــه وهو إلهامي ومرجعه

بلا وطنْ

تفتتت أقدامه على طريق الليل والشجنْ

يرضع في عينيه جرح « يعقوب » ،

تخونه ذاكرة النفي ،

ويوسف اختفى عريان ، لا قميص

هل يرد ضوء عينيه ، ويوسف المشرّد ، الزمن ؟

تذبل ، تبهت الاشياء في عـالمه الاعمى ..

عالمه المسدود

تطعنه مخافر الحدود

والريح – خيل النفي – لا تني تحمل ظلّه

تنشره غمامةٌ ظامئة على التلال

تزرعه دمعاً على جبال الوطن الجريح

في حقول الجدب ، نيراناً على الرمال

حبيبتي

مدينتي

لا صوتَ ، لا نشيجَ ، لا بكاء

تصاعدت من بئر «يوسف» الاصداء

عريان لا قميص لي أبعثه في العير

هل تبعث المدينة النائمة الخرساء

بشارة اليه

قطعة من ثوب عرسها الجديد ؟؟

صنعاء طال انتظار الفجر واحترقتْ

خيولهُ، وبكى – حزناً – تضرّعه

كل العوانس في أحيائنـــا ولدت

وأنتِ عانس حيّ طال مهجعـــه

َهيّا احبلي جبلاً ، هيا احبلي بطلاً
ومن غزير دمـــانا سوف نرضعه

كنتِ الولود ، لماذا أجدبتْ ؟ ومتى
جبالُكِ الشم – يا صنعا – تطلعه ؟

وليدنا القادم المحبوب ، كم ذهبت
أحلامنـــا تتمـلاه وتبدعـه

كنا رأينـاه في « أيلول » ممتشقاً
حسامَهُ ، في ضلوع الليل يدفعــه

فما لنا في منـــافي الشمس نطلبه
كيف اختفى؟ أين -ياصنعاء- موقعه ؟

إن كان يشكو هزالاً نحن نطعمه
أو كان يخشى ظلاماً نحن نخلعه

لا تخجلي من ضحايانا فكل دمٍ
يُراق ، في الجسدِ المهزول يجمعــه

وكل ذرّة رمل فيـه، وجـه فتى

من أجل عينيك ـ يا صنعاء ـ مصرعه

متى يأوب ؟

تحترق النجوم في عينيه والدروب

مغترباً في ثوب « عوليس » ،

فلا ريحَ الشمال أشفقت على زورقه اللاهث

في بحارها ولا نوارس الجنوب

صنعاءُ ترتدي غربته

حيناً غلائل الفجر ، وأحياناً ستائر الغروب

يلمحها في القمر الفضيّ تارةً صبية سمراء

تعشقها عيون الشمس والانهار

وتارة يلمحها – في قبضة الموت – عجوزاً رثة عمياء

تثير حزن الليل والنهار

منسية في جزر النفي ، على المرافىء القديمة

راحلة مقيمه

تحملها عيناه – مبحراً وقاطناً

يسأل عنها الشاطىء الاحمر..

يسأل التلالَ الخضر والسهوب

– لا أحدا

إلا ظلال امرأة ثكلي

وعلم تنصبه الريح على الجنوب

وزورق خاو، ترجع المياه حوله

متى يأوب؟

متى يأوب؟

أستودع الله في «صنعاء» لي قمراً

في الاسر، سيتمبرُ المهجورُ مطلعه

رأيتـــه في ظلام الليل مشتعلاً

وهزّني في سبات الكهف مدفعه

أعاد وجهَ بلادي بعـــد غربته
وكان يحـــلم إنّا لا نضيّعه
لكنـــه ضاع في أبعـــاد خيبتنا
لا الوجهُ باق ، ولا من جاء يرجعه

حلمت لو انني في الصّحْوِ اشهده
وددت لو انني في الحلم اسمعـــه
هل يقدر الشعر منفيّاً يردّ له
بريقـــه ، ومن الاشواق يجمعه ؟!
تكسّرتْ في اغترابي كل قافيـــة
وعقّني مـــن خيول الشعر أروعه
لم يبق غـــير نداءات مجرّحة
يشدو بها الوتر الباكي فتلسعه
أبكي بها وهي تبكيني ، ويجرحني
أنينها ، وعلى جرحي توقّعـــه

جعلتُهـا صوت أشواقي الى بلد

الشعرُ صوت هواه ، وهو منبعـه

الشاعر « الضليل »

يكتب بالدمع من المنفى

قصائد العودة في أعماقه تنتظر الرحيل

تجترّ لحن النفي في انتظارها

ترسم في حوائط المساء وجه الشوق

تسائل الشمس متى تعود ؟

تسأل طائر « الاصيل »

الجسدُ النحيل

تمضغه الغربة « قاتاً » يابساً

تشربه على مقاهي الحزن « بُناً » نازحاً

يشيخ ، يساقط لحمهُ

عظام كبريائه تصرخ في عباءة الدخيل

متى يعود للديار ؟

يشتاق ، آه ، لو على أبواب « مأرب » الغرقى

يموت واقفاً

تحضر دفنه أعمدة السدّ العتيق والاحجار

تحضره حقول « البنّ » والنخيل

تنشر حول قبرهِ ظلاً من انتصارها النائي

وبيرقاً للحلُمِ الجميل

للقادم الجميل

القاهرة ٢٩٧٣/٩/١٩

في الصيف ضيعنا الوطن

حديث على مائدة النكسة إلى الأرض
التي فقدناها في حزيران

أضعتُكِ في الصيف

في مطلع الصيف ، لكنني ما افتقدتك إلا غداة
أطل الشتاء

ولم أبكِ حين رحلتِ

لأني مع الصيف كنت أضعتُ الدموع

وها أنا يا طفلتي ضائع في البكاء

يطالعني وجهك اللبَني حزيناً

وتغرز عيناك في شجر القلب .. في العين نصل الدماء

صلاتي الدموع

وخبزي وفاكهتي والشراب الدموع

وكل النهارات مظلمة ، كل يوم مساء

تذكرت عينيك ، دفئها في ليالي الصقيع

ذكرت نهار الربيع

تذكرت انك حاولتِ أن تعبري ضفة المستحيل

بزادٍ قليل

وجندٍ قليل

وكل التماسيح كانت هناك

تعدّ القيود لكفّيك يا طفلتي

وتعد الشباك

ولم تجبني كنت رائعة غير أن الرفيق

تخلّف عنك ، تعثّر إيمانه في دوار الحريق
فأسلمت جسمك للأسر
صار النهار أسيراً
وصار الطريق

●

غسلنا حوائط أيامنا والليالي
وأوزان أشعارنا ، وعيون الشجرْ
بدمعك مأسورة
بدموع النهر
فما أطفأ الدمع غُلةَ أحزاننا المستبده
ولا هطلت من سمانا الغشوم ولا قطرة من مطر
وحين نناشدها تزدرينا

وتقذفنا في امتهان «بعين مشوهة وحجر»

●

سألتُ القوارب عنكِ

سألت الشطوط الحزينهْ

ووجه المدينهْ

شوارعها، جندها، والكوى المستكينه

تمزّقت شعرا

حملت جراحي، رحلت إلى البحر

أطفىء حزني به وأنيني

تمزقت نثرا

فلم تسمعيني

تناثر كالملح فوق العيون، على كل جرح حنيني

زرعت الدموع شتاء وصيفا

خريفاً وصيفا

فكان الحصادُ أسى أسودا ..

ونداءاً أسيفا

●

يقولون : إنك حين يجيء المساء

ولحظة أن يتدلى حزيناً من الشرق وجه القمر

تطلّلين من قاع سجنكِ

بحثاً عن الأهل ، تسأل عيناكِ ، ماذا وراء الشجر؟

وماذا تخبئه عين زرقاء ..

ماذا تقول الرمال ؟

●

ذهبت لألقاكِ

أقرأ في وجهك الصبّر

أهرب من شبح المستحيل

وجدت القناة بلا ماء ، مقفرة

ووجدتُ الطريق طويلاً .. طويلا

رجعت قتيلا

أجرجر رأسي ، أشد على جثتي في ازدراء

وأمشي على جثث الآخرين

أحس بها رخوةً تتنفس ، تمتدُّ أرضا

ولكنها فقدت كل دفء الدماء

وصارت مجوفةً ، تتحدى الطواحين

محشوة بالخواء

١٩٧٢

مواجيد مغترب

وطنَ النهـــار ومعبدَ الزمن
أنا عائـــدٌ لأراك يا وطني

« صنعاء » تدعوني مواسمهـــا
وعواصفُ الأشواقِ تعصرني

أنا أنتَ في حزني، وفي فرحي،
أنا أنت في صحوي، وفي وسني

حاولت أن أنساك فانطفأتْ
طرق الهوى في سائر المدن

وعلى ثراك الروح هـائمـة

لا تخشَ : ليس هنا سوى البدن

حملتك أشجاراً وأضرحـة

عيني ، فلم تهجعْ ولم تهـن

ورحلتَ في الأجفان ساهرة

هل أنت في الأحلام تذكرني ؟

أبحرتُ في دمعي فما قدرتْ

أمواجـه ، وغرقتُ في شجني

وركبتُ موج البحر فاحترقتْ

خيلي وفي أعقابهـا سفني

وبعثتُ أشعاري لتغسلهـا

من حزنها الدامي فتغسلني

ووقفتُ تحت الليل منطرحـا

أدعوك مذبوحاً ، أتسمعني ؟

عينــــاي في عينيـك سُمِّرتا
تتساءلان متى ســترجعني

ومتى أقبِّل تربة نزحتْ
وأخيط من أشجارهــــا كفني ؟

عادت طيور الأرض صادحة
فمتى يعود الطائر اليمني ؟

●

وطن النهار وقبلة الأبد
أنا عائــد لاراك يا بلدي

« عدنُ » تناديني وتسألني
أمواجُهــا محمومة الزبــــد

لِم لا تعود ؟ غسلتُ شاطئهــا
ومسحت وجه الليل والرمد

أكلتْ مياهي كل عاصفةٍ

سفنُ الغريب سحقتها بيدي

والارض منذ رحلت واجمةٌ

تدعوك في شوق وفي كمـد :

« أتعود يا طفلي ؟ كفى سفراً

أكل النوى شمسي ، طوى جلدي

أتظلُّ مرتحلاً بلا وطن

وتسيرُ منبوذاً بلا سند

تَبني قصور الوهم مغترباً

وتبـدّد الايام في حرد

وأنا بلا مأوى ، أتسمعني ؟

أمٌ أنا ، لكن بـلا ولد »

ينساب صوت الارض محترقاً

في لهفتي ويضيـع في صهدى

وتهزّني في الليل أغنيةٌ
عَبْرَ النجوم، ترشّ في كبدي
« يا عينْ ألا يا عين » يشعلني
موّالها، ويضجّ بالمدد
« يا عينْ ألا يا عينْ » كم هطلت
عيناي عند سماع « وا بلدي.. »
أشتاقها بيتاً ومقبرة
أشتاق يومي فوقها وغدي
وأريدها ديناً وأعبدها
ولها صلاةُ الروح والجسد

مايو ١٩٧٣

الى الفنار الوحيد

إلى الوردة
إلى الوردة المتفتحة الناضجة
الرشيقة المتفتحة ،
إلى ما في قطيفتها من عمق ،
إلى نهدها الاحمر المتفجر
«بابلو نيرودا»

يمر بك الليل عريانَ ..
تحني حواليك قامتها العاصفه
وأنت مكانك لا تتزحزح

أحلامنا فيك صامدة واقفهْ

جذورك في العين ،

في القلب ،

شمسك زاحفةٌ .. زاحفهْ

تمرُّ الدرافيل حولك عمياء

والريح ساكنة واجفهْ

لأنك آمالنا ، والبقية من شمسنا

في شرايينا النازفه

●

وكالأرض باقٍ

وكالفجر باقٍ

تسمّرت في وجه ليل المغول الطويل

تضيءُ ظلامَ الجياع

وتزرع في دربنا باسقات النخيل

فديناك من مرفإ لا العواصفُ تستطيع إطفاءه

نسفه مستحيل

ولا سحب الليل تدرك أغواره

أين ، من أين يعلو الشعاع الجميل ؟

فديناك سوف تظل هوى عمرنا

حلمنا ..

وهوى كل جيل

●

يحاصرك الموج والليل

تسطو عليك جميع البحار

ولكن وجهك لا يتغير

وضوءُ المنارةِ لا يتغير

وفي لحظةٍ يختفي الحوت

في فزع تتراجعُ أمواجُها ويموت الحصار

وتبقى لنا راية ، للجياع سفينه

وتبقي لها – للحياة ، الفنار

لانك أنت الحياة وأنت المدينه

وأنت الغد البكر

أنت النهار

٩٧٣/٩/٧

العبور

لا الليل في الضفة الأخرى ولا النُّذُرُ

ولا الدماء ـ كما الانهـــار ـ تنهمر

لا الذئاب وقد أقعت على حذرٍ

وحولهـا تزأر النيران والحفر

لا هـذه سوف تثنينا ولا خطر

يصدّ جيشا دعـاه الثـأر والظفر

جيشاً تمرّد ـ صبراً ، في مواقعه

وكاد في الانتظار المرّ ينفجر

مضى ليثأر من أعدائهِ ، ومضت
في ركبه الشمسُ والتاريخُ والقدر

●

يا عابرَ البحر ، كان البحر أغنيةً
والشط عاشقــةٌ تومي وتنتظر
ترنو إليك بأجفــان مقرحــةٍ
وقد عبرتَ إليها ، وانتهى السهر
هبطت سينا – على اسم الله – منتصراً
فضوأت ، واشتوى في نارها الخطر
سينــاء من قلب مصر كيف يفصلها
جان ؟ وعن روحها تنبو وتختصر ؟
ويل المطامع كم أدمت ، وكم قتلت
رجالها العور ، كم بيعوا ، وكم عوروا

أحلامهم تحت وجه الشمس عاريةٌ
أجسادهم فوق وجه الرمل ما قبروا

●

ظنّوك – سيناء – للأغراب مزرعةً
وفي رمالك يزكو الماء والثمر

تسللوا عبر ليلٍ لا نجوم به
وأصبحوا وهمُ السُّمار والسَّمَر

لكنهم حصدوا موتاً وعاصفةً
وفوقهم تقصف الأشجار والمطر

تقهقروا خلفهم رعباً بلا أمل
وقيل لن يُقهروا يوماً ، وقد قُهروا

تساقطوا كفراشاتٍ ملوّثة
في الرمل، واحترقوا في النار أو أسروا

●

يا عابر البحر ما أبقى العبور لنا ؟
وما عسى تصنع الأشعار والصورُ

أبطالنـا عبروا مأسـاة أُمتهم
ونحن في كفن الألفـاظ نحتضر

تقدموا عبر ليل الموت ضاحكةً
وجوههم ، وخطوطُ النار تستعر

وأشعلوا في الدجى أعمارهم لهبـاً
للنصر واحترقوا فيـه لينتصروا

عبورهم أذهل الدنيا وموقفهم
تسمّرتْ عنده الأقلام والسير

وددت لو كنت يوماً في مواكبهم
أو ليتني كنت جسراً حينما عبروا

١٢ اكتوبر ١٩٧٣

ما تيسر من سورة النصر

إلى الحبيبة الغالية سيناء

- ١ -

وأخيراً رجعتِ لنا

والخرائطُ ما استكملت - بعد - تزييفها

والمشاريع تدرس في مكتب الهمجي الدخيل

يقطعونكِ من ههنا...

يذبحونكِ من ههنا...

يفقأون على الوجه عيناً

يشدون خاصرة وذراعا

ويحلم سيدهم أن يقيم مواخيره فـــوق صدر التراب الجميل

ويحهم .. كيف لم يعرفوا أنت من ؟

كيفَ لم يقرأوا في جبينك خارطة المستحيل

كنت – ساخزة – ترقبين خناجرِهم

تهزأين بأسواطهم عبر ليل العذاب الطويل

كنت أقرأُ صمتكِ

ألمح في الرمل يوم المعاد ،

ويلمحه جيلنا ،

لا .. ويلمحه معنا كل جيل

كنت أعرف أنك عائدةٌ ،

أننا سنغني ،

سنغسل أشعارنا من رماد العويل

كنت أسمع زحفا

وأشهد في ضفة الشمس وهجَ الصهيل

كان أبناؤك الأنقياء ، يموتون شوقا

على الجسر ..

ينتظرون الرحيل

- ٢ -

واخيراً رجعت لنا

مثلما كنت عذراء فاتنة كالنهار الجديد

حين حاول « شيلوك » حزّ وريدك لم يستطع

كان حبُك ،

أشواقنا تتحدى ، وتهتزّ منه الوريد

يتساقط خنجره ، ينزف الحقد

في الرمل

منكفئا ،

عارياً ، أجوفاً ، تتقاذفه الريح تحت الظلام العنيد

ما الذي جدّ في الأمر

كيف اختفى عرش « شيلوك » ؟

كيف انطوى علم الوهم ؟ حلم الطريد ؟

الأسيرة مطلقةٌ ، حرة الكف ،

والآسرون .. العبيد

هكذا كان يهمس للشاطىء النيل ،

والهرمُ الاكبر :

الفجر لن يتأخر ، سوف يعود المسافر

سيناء سوف تعود لنا

سوف نحضنها من جديد

- ٣ -

يا ابنة « الطور »

منذ متى عرفت شمسك الانحناء ؟

كل ذرّة رمل على ارضك البكر كالطور

شامخة ترفض الانحناء

زعموا انها استسلمت ، خضعت ،

ثم لم تشتعل – حين نام الدخيل على صدرها – كبرياء

ها هي انتفضت ، اشعلت نارها ،

أكلت خصمها ، وارتوى رملها من بحار الدماء

فتحت بابها ، ثم عادت لتوصده

ثم تحفر قبراً لتدفن في جوفه الدخلاء

لم اعد ارهب الموت

مُذْ رأيتك تغتسلين من العار

فليأت ، يذهب

آمالنا تتحقق

ماذا تبقّى من العمر ؟

إني شهدتك عائدةً

واحتضنت ، احتضنت الجلاء .

القاهرة — ٩ اكتوبر ١٩٧٣

عودة الوجه الغائب

أين وجهي؟ هل أنا لا وجهَ لي

صخرةٌ تائهـــةٌ في الأزل ؟

كان لي وجهٌ وقـد مزّقته

منذ عام الجدب (عام الحنظل)

ظل يساقط في مأساتـه

ويعـاني ، في انتظار البطل

عبثت دود « خزيرانٍ » بـه

وامتطته قاطراتَ الخجل

وأخيراً عــاد « تشرين » بــه
شامخَ الرأس ، نديّ القبَل

أنا في « سيناء » ما أسعدني !
أنا في « الجولان » يا للجذل !

عبرت بي سفن النصر على
سحب الشوق وموج الأمــــل

أرجعت وجهي ، أعــادت لونه
وأعــادتني لوجهي الاول

كنت أشكو شللاً في أمتي
فتجــاوزت ركام الشلل

لم أعد من غير وجهٍ ، ها أنا
أتحدى كل وجــه قبلي

●

أيها الجندي يا وجه الضحى
يا نهار الأمس والمستقبل
من يثير النار في غاباتنا ؟
من يشبّ النار للمعتقل ؟
من يهز الخصب في أخشابنا
ويعيد المنتدى للطلل ؟
أنت يا ملحمة شامخة
أنت أشعلت الضحى في المقل
دمك الغالي وما أكرمه
يتهادى في صخور الجبل
يبعث الدفء إلى تاريخنا
ويضيء العصر للمحتفل
كلما أطبق ليلٌ عابثٌ
بسمانا وكأن لا ينجلي

سحقته ، سحقت أحلامـه

موجة من دمك المشتعل

وإذا ما غاب نجمٌ بطلٌ

أطلعته كفُ نجم بطل

وجهنا عاد وقد أرجعتَه

أنت يا وجه النهار المقبل

١٦ اكتوبر ١٩٧٣

من سفر الموت والحياة

في « أربعين » شهداء الطائرة المحترقة

دعوني لهمّي

دعوني لوهمي

دعوني أفتش في غابة الليل عن واحة الشمس

لا تخدعوني بأني تغيرت ، أن البلادَ ..

تغير تاريخها – لم يزل حافلاً بالمآسي ، عقيم السواد

وصوت الخليفةِ ما زال

سيفاً يجزُّ ، ويطحن فوق العيون الرماد

●

دعوني أمزّق عمر التمني على راحة الانتظار

أهيب بجيل الإغارة أن يعبر النهر

أن يتقدم بحثاً عن الشمس

أن يمتطي صهوات النهار

لعل الذي مات يصحو

لعل الذي طار يرجع يوماً

يعود قريباً لأهل ودار

●

يحاصرني اليأس ،

لكنني ما اطرحت سلاحي

ولا أغمضت للفناء الجفون

يخون الرفاق

يبيعون أحلامهم للرياح الغريبة

لكنني أبداً لن أخون

يظنون في رحلة « القات » أن الظلام انتهى

والقيود انتهت والسجون

وحين يعودون من رحلة « القات »

تدهمهم سحب الليل

تمضغهم عاصفات الشجون

●

تمنيت لو لم أكن شاهداً ساعة الطلق حين اقتراب الولاده

وحين مضت تتلمس أبناءها واحداً واحداً

تسأل المؤمنين الشهاده

فلم يبخلوا عانقوا الموت حباً لها

آه لكنها بخلت بالولاده

وتشرب ، تشرب حتى ارتوى الصخر

لكنها ما ارتوت أبدا

لم تزل تتطلب منا الزياده

وأسألها

من سيبقى ؟ ومن سوف يشهد ميلادها

من سيبقى ليحمل أعلامها يوم نيل السياده

فتصمت ،

ترقص ،

تصمت

●

دعوني لوهمي

دعوني لهمّي

فإن الخليفة في عرشه

والدراويش تمرح ، والأنقياء يموتون

والليل يجدل للطيبين الحبال

ربما كان يجدي النزال

لو صنعنا من الجرح درباً لنا

ومشينا عليه معاً إخوة في النضال

هكذا أقطع الليل ، أندب ...

لكنها علمتني بأن المناحة كفر

وأن التوحد خلف النعوش محال

وأنا سنبقى نسير الهوينى

نشيل بأعناقنا كل يوم قتيلا

ونحمل للقبر أغلى الرجال

●

متى نتوحّد – أحبابَنا – ؟

نتقاسم كأس المنية في حانة الرعب

نكتب أشعارنا الحالمهْ ؟

تقول المواقع هذا أوان التوحد

هذا أوان التحدي لأسمائنا ، ولأشباحنا الظالمه

هل نُجيد التفاهم ؟

هل نتعلم

أوشك أن أتهاوى من اليأس

تنقذني من بعيدٍ خطى فرس

صرخة من طفولتنا

ثورةٌ قادمهْ

يونيو ١٩٧٣

البكاء بين يدي صنعاء

للحبِّ فوق رمالها طللُ
مــن حوله نبكي ، ونحتفلُ
نقشته كف الشوق في دمنا
وطوته في أعماقنــا المقل
هو حلمنا الباقي ومعبدنا
وصلاتُنا ، والحبِ والغزل
من أجلهــا تصفو مودتنا
ولحبهــا نشقى ونقتتــل

شابتْ مآسينا وفرحتنا
وتمزقت في دربهـا الدول

وشبابُها الريان مـا برحت
أزهارها تنـدى وتكتمل

●

صنعاء يا أنشودة عبقت
وأجـاد في إنشادها الأزل

إن أبعدتني عنك عاصفةٌ
وتفرقت مـا بيننا السبل

فأنا على حبي وفي خجل
روحي الى عينيك تبتهل

ألقاكِ منتصراً ومنكسراً
وعلى جناح الشعر ارتحل

يجتاحني شوقٌ ويسحقني
شوقٌ ، وفي التذكار أشتعل

مـا نجمةٌ في الأفق عابرة
إلا هتفتُ بها متى نصلُ ؟

ومتى على الكفين راحـة
هـذا الغريب الدار ينتقل

« نُقمُ » تلوح لي منـائره
عبر البحار ، وتومىء الشعل

إني إلى صنعـاء يحملني
وجهُ النهار ، وترحل الأصل

وأعود طفلاً كلما ذكرتْ
ويغيب وسطحريقيَ الرجل

فمتى تظللني مآذنهـا
ويضيء من أحضانها الجبل

لم يبق في الأيام من سعةٍ

حان الرحيل ، ونوّر الأجلُ

أأموت يا « صنعايَ » مغترباً

لا الدمع يدنيني ولا القبل؟

أوْراق أيامي أبعثرها

وأعيش لا يأس ولا أمل

●

يا أمنا جاءت مواسمُنا

واستبطأتْ أمطارَها اليمن

أكل الذباب جنين فرحتِها

وسطا على أشبالها الوهن

كانت تظن الصيف قادمةً

أمطاره والخصب واللبن

لكنها ـ وا هول ماشهدت !ـ

لا الخيل تعصمها ولا القنن

غرقت بوحل العمر وانطفأت

في ليلهـا الشطآن والسفن

واستسلمت للجدب لا «كرب»

يروي مواسمهـا ولا يزن

كانت تخاف الموت من «حسن»

فأماتها من خوفها «حسن»

وتمرّدت ليلاً على وثنٍ

فاغتالهـا في فجرها وثن

●

أبكي على أيامنـا اندثرت

أشواقُها والحلم والمدن

ويقول لي صحبي كفى حزناً

ماذا يفيد الدمعُ والحزن ؟

أألامُ يا أماه إن يبستْ

عيني ، وأثمر حولها الشجن

أبكي شباباً جل مصرعهم

في ليلةٍ وضاحـةٍ دفنوا

رحلوا بلا زادٍ ، بلا كفنٍ

أجفاننا وقلوبنا الكفن

سأظل أبكيهم ويغسلهـم

عبرِ التغرّب دمعي الهتن

حتى تضجّ الأرض ثائرةً

ويصيح من أعماقها الوطن

لبّيكِ يا « صنعاء » نحن هنا

لا الموت يدركنا ولا الزمن

فرسان عصر الشمس ما برحت
رایاتهم تدنو ، وتقترن

أرأيتهم ؟ في الأرض من دمهم
عبق ، وفي أجفانها وسن

ومشائخ البترول تصلبهم
أحلامُنـا الجوعى وتمتهن

خانوا فما ربحت تجارتهم
ومشت على أشلائهم «عدن»

للغـادرين النـار تحصدهم
والك الخلود، الخصب ، يا يمن

١٩٧٢

أسئلة ساذجة جداً

- ١ -

العصر هو العصر

الانسان هو الانسان

نفس الأيام

نفس الكفْ

ونفس الأقدام

نفس الأعوام

فلماذا يا شعبي

إنسانك لا يمشي .. وله قدمان

لا يصنع شيئاً ، وله كفّان

ولماذا ليس يرى ، وله عينان ؟

– ٢ –

قالوا :

النهر يسير

لا ينزل إنسان نهراً إلا مرّة

إن كان صحيحاً ما قالوا

فلماذا ندخل في اليوم الواحد ،

في النهر الواحد أكثر من مرّة

ولماذا يا شعبي

أنهارك آسنة المجرى ؟

لا تتحرّك ، لا تجري

ليس تحقق فكره ؟؟

- ٣ -

نفس الألوان

نفس الأوراق

في كفي منذ زمان

في كف المدعو « بيكاسو » منذ زمان

فلماذا « بيكاسو » يملأها فرحاً

حزناً ، يسع الاكوان ؟

يبهر عين الله وروح الإنسان ؟

وأنا أوراقي ، ألواني

عاريــة

ليس تشدُّ إليها إنسان ؟

- ٤ -

قال خطيب الجمعه :

الناس لآدم .. آدم مجبول من طين

كان على مقربةٍ منه ثريٌّ يتباهى

وبقربي إنسان محنيّ الظهر حزين

عارٍ يتلوّى جوعاً ...

إن كان الناس لآدم فلماذا

تتفاوت أقدار الأبناء ؟

ابن محظوظٌ ! محظوظٌ !

والآخر مسكين ! مسكينْ !

- ٥ -

كان صغيراً

أحببناه كثيراً

في ليل السجن ، وفي جدران الليل حفرنا اسمه
تحت رصاص الغدر حملنا رسمه
صار الرجل الاول
أصبح كل رجال القرية
فلماذا قريتنا صارت تكرهه ؟
ولماذا يكرهها
يبني بجماجمها ليلَ النسيان

رسالة الى الزبيري

في الذكرى الخامسة لاستشهاد شاعر اليمن الكبير

دمعي ـ على البلد المهدور ـ مهدورُ
وصوته ـ كالصدى المهجور ـ مهجورُ

أبكي أعضُّ جدار الليل منطفئاً
في غربتي ، تتخطاني الأعاصيرُ

وحين لا الدمع تشفيني صفائحه
ولا تغيب عن العين الدياجير

أعود للكلمات – الشعر – أسألها

عطفاً وفي رئتي للحزن تنّور

تصدّني في حنان ثم تمنحني

نشيدها : وهو منظومٌ ومنثور

أعلو بـه أتحدّى ليل نكستنا

والهول محتدمٌ ، والرعب منشور

أرتاد عالم حتفي غير مكترثٍ

وفي فمي من « أبي الأحرار » تبشير

●

يا سيد الكلمات ، الشعب ممتهنٌ

جوعانَ ، عريانَ ، تدميه الاظافير

رفاقُ دربك خانوا فجرَ صحوتهِ

وأبعدتهمْ عن الشعب الدنانير

باعوه من كل أفاق وليس لهم
رأيٌ ، سوى أنهم فيه طراطير

لهم على « الرين » أبراج منورة
وفي البنوك قناطير ، قناطير

ذكرت أمسك فانداحتْ مواكبه
كأنها في رؤى العين الأساطير

أنشبتَ صوتك في الاكباد حين طغتْ
بنا « الأكفُ الاثيمات المشاهير »

فأين أنت ؟ من الغابات تنهشنا
ذئابها ومن الليل الصراصير

كنا نعاني وشاحاً واحداً فهوى
وأرهقتنا « الوشاحات » الطوابير

أقوالهم حكمة تروى ، وظلمهم
للناس عدل ، وتقواهم تقارير

عد يا عظيم القوافي كيف تتركنا

يغتالنا الليل أو يلهو بنا العور

فضائحُ « النفط » تؤذينا روائحها

وشعبك الواحد ، المنكود مشطور

« ثعبان مكة » يلوي عنق خيبته

من حوله ، وهو في الشطرين مقبور

أتى بأذنابه للدين يرجعنا ،

والدين في « يمن الإسلام » مشهور

اللهَ نعرفه حباً ، ونعبده

حباً ، فما تبتغي منا الزنابير ؟

أفكارهم في بنوك الغرب مودعة

ودينهم — عندنا — زيف وتزوير

من كان يُعطي لأمريكا قيادته

فليس يغنيه تهليل وتكبير

ومن يبعْ في قصور اللهو أُمتهُ
فكيف ينجيه ـ باسم الدين ـ تبرير

من زيتنـا يترضّانا ويسلبنا
كرامةَ العمر والأجيـال مغرورُ

يبغي العبورَ إلى صنعا فيذهله
صمودُهـا ، وعلى الابواب مدحور

●

يا سيد الكلمات الشعر ممتهن
منذ ارتحلتَ تعانيه الشعارير

« سجِّل مكانك » تشكو وهي واجفة
عمودهـا في يد الاقزام مكسور

تقوقعوا لا جديـد الشعر يبهرهم
ولا القديم له في الفن تطوير

لو عاد « نشوانُ » أدماه تخلّفهم

وتالهم منـه تعنيف وتشهير

فالشعر إن لم يكن للشعب ، ثائرة

أنغامهُ ، فهو ألفـاظ وتشطير

وان يعشْ بروْى الماضي تحرّكه

طبولهـا ، وتغذيـه المزامـير

تجاوزتـه هموم الشعب وارتفعتْ

عليه – في صحوة العصر – الجماهير

●

يا سيد الكلمـات البكر معذرة

إن خـانني في سنا ذكراك تعبير

قبستُ منك حروفي ، فهي ثائرة

لكنني في يد الآلام مأسور

تنكّرت لي بلادي وهي باكيةٌ
حين استبدَّ على الحكم الخنازير

يبعثرون دماء الشعب في سفهٍ
ولا يعود إلى الأبناء قطمير

مراقصُ الليل في لبنان تعرفهم
معربدين - وفي مصر - المواخير

إن لم تطهّر بلادي وجه حاضرها
ويشمل الحكم تطهيرٌ وتثوير

نأيتُ عنها ، ولي في الأرض منتجع
وفي الحنين اليها - العمر - تكفير

أبكي لأحزان ماضيها وحاضرها
وحبها في خلايا النفس مسطور

●

أشكو اليك ؟ لمن أشكو وقد شربت
نجومُ « أيلول » والجيل المغـاوير

وأصبحَ الشعرُ مصلوباً يضيق بـه
ليلُ السجون ، وتدميه المسامير

ما حاجة الشعب للأشعار في بلدٍ
أحبُّ حكامـهِ للشعر كافور ؟

من المنافي أناجي روح ذي يزنٍ
وفي دمي منـــه تفويض وتصدير

أعيدُ أيامَكَ الغرقى وأقرأهـــا
في غربتي ، وهي في دربي مناشير

وأوقد الكلمات – الشعر – أسئلةً
في كل خافقةٍ منهنَّ « طاغور »

إلى متى ينزح التغريب قريتنـا
كي يستقرَّ على الحكم النواطير ؟

إلى متى نطعم المنفى قوافلنا ؟

إلى متى حلمنا – المهدور – مهدور ؟

القاهرة ٩ مارس ١٩٧٠

عندما تبكي الأرض بعيون القمر

١ – صوت من القمر :

(الصورة التي التقطتها العربتان أبولو ٨ وأبولو ١٠ عن المكان الذي سنهبط فيه كانت واضحة جداً وما شاهدناه يشبه هذه الصور شبهاً كبيراً . لكن هناك فارقاً بين الصورة والأصل ، كالفارق بين مشاهدة مباراة حقيقية

(*) الاصوات القادمة من القمر تتضمن نص الوثائق التي أذاعتها وكالات الانباء عند هبوط أبولو ١١ على سطح القمر في يوليو ١٩٦٩ .

لكرة القدم في ملعب رياضي ومشاهدة المباراة
على شاشة التلفزيون .

(نيل آرمسترونغ)

صوت من الأرض

جلدي أسود ،

في لون حياتي هذا الجلد ، أيامي
غارقة ، أنبش في ذاكرتي . أتقيأ تاريخي
البيض ، عصور حاقدة ألقت جسدي في أفران
الليل الشتوي . تنقعني في آبار القار ،
الفرح الأبيض ، تسلخني ، تشربني
نيئاً .

جلدي أسود ،
في لون ضمير القرصان الابيض ، أ
قلبي في لون القمر المشدود إلى البيت

كبسولاتٍ فارغة من شركات التصدير .

من يدعوني ؟

لا .. لا . أخجل أن أذهب . يخجل تاريخي ، لوني ، كل تراب الأرض النازفة الجرح ، بلادي ، أطفالي . لا أنكر أني مفتون بالقوة ، القوةُ معبودي والعضلات السيف ، أأغمده في عيني طفل ؟ في لحم امرأة عجفـاء ؟ الحلبات تناديني ، تدعو خصمي ، أصرعه ، يصرعني ، نسقط ، ننهض من كبوتنا تحت عيون الجمهور ، ويوقظنا التصفيق معاً ، ملعون من يقتل طفلاً وامرأة ، من يزني بالارض ، يشوّه وجه القمر ، يطير اليه بأجنحة من دم .

توقيـع
محمد علي كلاي

٢ – صوت من القمر :

(هبط النسر . خطوة صغيرة للإنسان ،
لكنها قفزة عملاقة للإنسانية .

(نيل آرمسترونج)

صوت من الأرض :

في بندقيتي أنام
أحشر هـــذا الجسد المشرّد الطريد في
« الكلاشنكوف » أحلم أنني رجعت ، أن بيتي
عاد ، إخوتي ، يافا ، شوارع القدس ، وأن أمي
لم تعـــد وحيدةً ، صارت تغني ، وهي – في
الفجر – تعدّ لي ، موائد الإفطار .

منذ فقدتُ وطني ،
منذ سطا على ترابه النملُ الغريب

روحي تنام في جباله ، تقتات من أعشابهِ

وجسدي ينام في مخافر التعذيب

والكون صار وجهَ أعدائي ، وميدان حروبي المقدسة

جلجلةً ومحرقهْ

زنزانة ومشنقه

حتى وجدتها ، وجدت بندقيتي

فكانت البيتَ ، وكانت السرير ، الحلم ، كانت الطريق للوطن

القمرَ الذي أحببتهُ ،

القمر الذي أهوى الصعود نحوه هو الوطن

يظهر ثم يختفي خلف جبالِ النار فى ليـــالي الصيف والشتاء

ما عدت أرمق السماء كي أحصي نجومهـــا ، اطالع القمر

وقمري مذبوح

تثقله الاحزان والجروح

يا ايها المسافرون للقمر

رحلتكم كانت بعيدة ومستحيلة الرحيل

ورحلتي تبدو لكم بعيدة ومستحيله

لكنها عبر بنادق الرجال

تدنو ،

وفي أشواقنا ، في حبنا ،

ينهار كل مستحيل

توقيع :
مناضل فلسطيني

٣ – صوت من القمر

(تراب القمر ناعم جـــداً ، ألمس السطح

بأصبع قدمي إنه ثابت وترابه ناعم . لا أرى

آثاراً لقدميّ . سطح القمر كغبار الفحم .
ليست هناك صعوبة في السير على سطح القمر .
المكان جميل . جميل . خراب رائع .

(نيل آرمسترونج)

صوت من الارض :

صار ينبت كالعشب في القلب ،
يفترش العين طوعاً وكرهاً ، على حافة النهر
فوق سريري ،
على شفةٍ كنت أعبدها . وسط عينين كانا
شراعي ، على قمر كان حبي . على صدره وجه
روحي وعمري معلّقْ .
حين بالأمس كان يداهمني ظل هذا الرفيق
القبيح ، الذي يتلوّى على العين ثعبانه ، يتراقص
في جفنها بطلاً غجرياً ثقيل الملامح والظل ،
كنت أفرّ بعيني اليـــه ، الى القمر الضاحك

الوجه ، تحملني خيل شعري على خصلات من
الضوء – ضوء حبيبي – بعيداً عن المومياات
القديمة .

ما الذي جدّ في أمرنا ؟ – قمري وأنا ؟ –

أنا يغتالني الحزن في مطلع الشمس . تمضغ
وجهي عيون التعاسة والجدب ، تعشق موتي ،
تصادرني . وهو في قبضة الليل يحتله « المدنيون » ،
تنبش أقدامهم وجهه الضاحك القروي .
صار مثلي حزيناً ومثل رفاقي يقدم للاغتيال .

توقيع
شاعر

٤ – صوت من القمر

(اللون يختلف وفقاً للزاوية التي ننظر منها .
لا لون ، تقريباً رمادي ، أبيض كثيراً ، رمادي
طباشيري حينما ننظر باتجاه الشمس . رمادي أكثر

رمادي كالرماد حين ننظر من مكان
عن الشمس . الفوهات منتشرة في
تقريباً ، والمكان الذي هبطت عليه
نسبياً ، لكن يمكن مشاهدة عدد
الفوهات من جميع الأحجام في جميع
. إن عدد الفوهات كبير إلى درجة
أن نحصيه .

آرمسترونج)

الأرض :

مدرسة هذي الفوهة ، الأبناء الأشجار
الأعشاش ، الكوخ ، اللوحة ، حقل
الأرز دخان يتصاعد ، لا شيء على وجه
الأرض بيال كانت تتحدى ، تصمد في وج
تقاوم ، تسهر ، تصطاد لصوص الغابة .

نهر الميكونج يسيل دماً ، ينسدُّ المجرى النازف
في وجه الريح .

وحدي في وجه الطوفان ، ولن أركع ، ان
تركع هذي الأرض الباكية الشاحبة اللون . دم
يتساقط ، تولد أجيال أخرى في فوهة الموت ،
بنادقهم تكتب أحلام النصر ، تعيد كتابة تاريخ
الإنسان .

ما زال بريق من وجه القمر المحتلّ يمد
أصابعه عبر الأسلاك ، يضيء طريقي في ليل
المأساة ، يصارع مثلي طوفان الليل الاحمق ،
ويضيء طريق رفاق السجن .

الارض غـــداً ستعود ، الجرح يطيب ،
الفاتنة السمراء غداً تخلع ثوب الميدان ، تعود
الى القرية في رفقة والد طفل المستقبل .

توقيع
مناضل فيتنامي

— ٥ صوت من القمر :

(الذين كانوا يقولون إننا لن نتمكن من
من تحديد مكاننا تحديداً دقيقاً كانوا على حق .

آرمسترونج)

صوت من الأرض :

أين أدفن وجهي ووجه بلادي من العار ؟
يأكلني ، يرتديني ، يطاردني عبر منفاي ، ماذا
أقول لطفلي اذا عدت ؟ اني قتلت جموعاً من
الأبرياء . أي وحش أنا ؟ القرى تتهاوى ، جموع
من البائسين الضحايا يموتون من قصفنا ، كل شيءٍ
إذا ما طلعنا يموت سوى ذلك الشيء إنسانهم ،
أي رعبٍ يزلزلني ؟ لم يزل واقفاً .. صامداً
تنبتُ الأرض من حول أكتافه أذرعاً شجراً
من حديد .

تتهاوى الجبال ، تذرى ، ويصمد في الأرض

- كالأرض - يا للجسور العنيد .

نحن نسقط ، نسقط ، نهوي ، تحاصرنا لعنة

العـــار

تجلدنا :

- قاتل

- سافل

- أنت نذل

- جبان حقيرْ

- كنتُ أعرف أني كذلك نذل ووغد ،

ولكنهم قادتي في (الولايات ..) أكثر جبناً ،

يفوقونني في النذالة .

آهِ لقد قتلوني .. لقــد قتلوا بي فيتنام ،

إنسانها .. والشجر

مثلما قتلوا ذلك الطائر اللبني الحبيب القمر

توقيع

طيار أمريكي

٦٩ - ١٩٧٢

رسالة إلى عين شمس

مهداة إلى القاهرة الحبيبة

فِي غربتي عيناكِ لِي وطنٌ

أهدابُها تحنو ، وتحتضن

وتضمني إن طاف بي شجنٌ

فيغيب في نظراتها الشجن

ويشوقني أهلي فأحضنهم

في أهلها ، وتقول لي السفن:

إن أبعدتنا الريحُ عن يمنٍ

فلنـــا على أجفانها يمن

نشوانةٌ كالفجر مطلقةٌ

لا سيف يجلدها ولا حزن

أحداقُنا في الصـ[illegible] ملعبها

وقلوبنـــا لشتائها بدن

هي خمرُنا وصلاة غربتنــا

وسهادُنا والدمع والحزن

نمشي بها ونعيش في غدِها

وتضيء من أحشائنا « عدن »

يا بنتَ « عين الشمس » معذرة

لا الصمت يسعفنا ولا اللسن

ماذا تقدّمه مواسمنا ؟

وبما يجود لدوحه الفنن ؟

●

يا من تدين لهـــا مواهبنا

ويشيب حول ضفافها الزمن

جئنا نعبُ الشمس في ظمأٍ

ودليلنا إنسانك الحسن

في حانةٍ للحب ما كفرتْ

يوماً ، ولا لخمورهـــا ثمن

مفتوحةٌ كالنور وارفـة

لا الجدب يدركها ولا الوهن

كنا وراء العصر يصلبنـا

ليلٌ ، وترحل فوقنا المحن

أيامُنا في الأسر مظلمـة

يمتصها النسيـان والعفن

وسهولنا تحت الدجى جثث

مأسورة ، وجبالنـا كفن

فتململت يوماً وكنتِ لهـا

عوناً على التـاريخ يؤتمن

يا بنت «عيز الشمس» كل هوىً

إلا هوى عينيك ممتهن

أفلا سمعت لصوت مغتربٍ

عيناكِ في غرباته الوطن ؟

من يدلني؟

أقول للنجم متى تحملني

على جناح الضوء نحو اليمنِ؟

لعلّ شمسَها .. سحابَها

ترابَها من الأسى تغسلني

أكاد أن أموتَ ، ان

أغرقَ في صحارى شجني

في كل ليلةٍ أعدو بجرحي

أصيحُ في الدجى ، يا وطني

أنتَ أنا .. أنتَ أنا

جرّحكَ الذي جرّحني

هشّمَك الذي هشّمني

أبْعَدَك الذي أبعدَني

متى ستسحق السجن

تشقّ وجه الكفن ؟

أكاد من حزني عليكَ

أنطفي ... في حزني

ترحل - روحي - كل ليلةٍ ثم تعود للديار

تحمل لي منك وعود الخصب ، تحمل الأخبار

تقول لي في حيرةٍ ، تقول في انكسار

وجهك لم يزل يبدو ويختفي من خلل الغبار

قلبك بين اللهب المثار ، بين النار

خذني إليك ، أضناني ، أمضّني السفار

يا يمني ، يا يمن الدموع والجراح والإعصار

يا من يدلني على ....

طريق الوطن الحزين من يدلني؟

ينفض عن وجهي الغريب

عن روحي غبار الشجنِ

هذا الشتاء المرّ بالأحزان

بالأسى يغمرني

غيومه السوداء تستفزّني

بحزنها عارية ً تمطرني

يا من يدلني على طريقها

طريق أحلى المدن

يرجعني توًّا الى حبيبتي

معبودتي .... لليمن

منحته مـا علـّمتني غربتي

من حـكمةٍ وفطن

وهبته الشعر ومـا يزرعه

الشعر على حقول السوسن

يا من يدلني ؟

يا من يدلني ؟

١٩٧١

الرحيل قبل مجيء الفجر

في وداع الصديق المناضل عبد القادر سعيد

لماذا تعجّلتَ ؟

مَنْ سَيُسوّي ترابك ، مَن سيشيّعُ جثمانك ، الليلُ أنيابه مشروعاتٌ ، بوارجه تمخر البحر . كل الرفاق – بعيداً – يعانون ، في السجن ، في جزر النفي ، والأرض مهجورة والرماحُ سليبةٌ .

واقفاً هكذا مُتّ ، لن يدفنوك ستبقى بلا قبرٍ ،

ما أكثر الواقفين هناك بلا قبرْ ،

ماتوا وأقدامهم تسحق الليـــل ، تدهس
أشباحه في بقايا الكهوف الرهيبهْ

لماذا تعجلت قبل مجيء الصباح ؟

احترقت لكيا تنير ، أضاء رحيلك للقادمين
مع الفجر

ليتك لم تحترق . كان صوتك للقادمين دليلاً ،
وكان زئيرك مقبرة للوجوه الغريبه

يا فنا ويدا وحساما فقدناه في وحشة الليل ،
هذا زمانُ العيون المدماة حزناً ، زمان الفجيعة
والقهر ، والسفر الدموي على النار نحو النهار
الجديد . زمانُ الرحيلِ إلى الفجر عبر بحار
الظلام الكئيبهْ

كلما انطفأتْ شعلةٌ في الطريق إلى غدنا ،
تتضاعف أحزاننا ، ويطول الطريق ، يحاصرنا

اليـــأس لكننا فوق جسر الدموع سنمضي ،
ستمضي الجموعُ التي أثقلتها المخاوف والحزنْ ،
لن يتوقف زحفُ الرفاق إلى مدن الحلم ، كل
فتىً سوف يحمل انجيله – دامياً –
وصليبَهْ

في فصول الأسى ترتديني ووجــهَ بلادي
الكآبةُ ، يصطادني الشكُ ، أسقط دمعاً على
شجر الراحلــين فتورق ناراً ، تصير الدموع
انتقاماً من الموت – أنسى الكآبــة ، ألمح في
ضوئها شعبَنا يتمخض ، يولد جيلاً جديداً له
من ملامح هذا الذي مات إيمانُـه ، وله منه
ضحكاته في الزنازن ، إشراقهُ في الليالي العصيبه

حين أذكر أحلامنا في الظلام الذي راح
اذكر احزاننا في الظلام الذي جاء
أبكي فينتفض الحزن أعمدةً وجسوراً
من النور ينهرني صارخاً :
– لم يمت هو ما زال حياً يعلّمنا حكمة

الرفض والحب ، يقرأ في غدنا ، يتملى المصانع
من حافة الفجر ، من شرفات الحقول الخصيبه

أنت ما زلت حياً – إذن – بيننا .
أتعشق صوتكَ في الرعد ، في الريح ،
في دمدمات القنابل ؟ لا ، لم تمت – أنتَ –
جسمُك في راحة من عناءِ الحياة ، وصوتُك
حيّاً يرود القرى الجائعات ، ويغشى بها مدن
البؤس والطرقات الجديبه .

وغداً أيها الراحل الحي سوف تراهم رفاقك
أشبالك القادمين مع الفجر ، يخترقون المدينة
كالنور ، تحمل أكتافهم شعل النصر أرغفةً
للجياع ، دواوين شعر توزّعها الشمس للعاشقين
هدايا ، وشوقاً لأم النهار الحبيبه

٢٥ مايو ١٩٧٤

عَودة وضَّاح اليمَن

وما الدنيا سوى وطني، إذا لم

أجدهُ، لم أجدْ فيهـا نصيبا

ولو أني حللت ربوع نجـم

هَمَمتُ بـه إلى الوطن الوثوبا

« الزبيري »

عودة وضاح اليمن

(عاد وضّاح من غربته لكي يرى حبيبته
« روضه » فإذا هو يفاجأ بها مجذومه)

ضائعاً – كنتُ – محترقاً ، أتمزق في قبضة الليل
والشجن البربري الرمادي ، أصرخُ ، أرحلُ في سفن
الحزن ، تحملني في بحارٍ من اليأس ، أذكرها تتعذب
بعدي ، تواجه أعداءها في ثبات ، أمد يدي نحوها ،
تتراخى يدي تحت رعب المسافات ، أبكي ، يطير بي
الدمع ، يرجع بي نحوها ، يا لرخٍ من الدمع يحملني
في حنانٍ رحيم !

(أتساءل أين الطريق اليها ؟ فاسمعها تتكلم) :

– من أنتَ ؟ ما تبتغي من فتاة عجوز بلا زاد أسلمها قومُها للمجاعة والموت ، باعوا ضفائرها للظلام حبالاً ، وناموا على عتبات المواعيد يقتسمون كؤوس المهانة في الحلم ، يختصمون على القيد ، يحتطبون بوادي الثعابين ، يستمطرون الاله العقيم

(تتلفت مذعورة ، ثم تصمت ... تتعب ، وهي تسائلني) :

– من تكون ؟ متى جئت ؟ كيف تسللت عبر الظلام إلى وحدتي ؟ أنا منبوذة أتضور جوعاً وحولي مئات الموائـــد تمتد للعاهرات ، بحارٌ من « النفط » تسبح فيها الجواري ، ويغرق وجه الجزيرة منتحباً ، والمداخل مقفلة والمشانق تطوى لكيما تقام ، تقـــام لتُطوى ، وتفجعني بأعز البنين بأشجعهم ، تتلألأ عند الضحى بقع الدم ، تلمع أكفانهم ، وتميل الجباه إلى الشرق مذبوحة ، ليس لي بعدهم أملٌ ، عدْ إن

اسطعت فالصائدون حواليك كثر ، ومن حولنا الرمل مقبرة والصحاري جحيم !

(أتمالك نفسي من الموت خزياً ، ويمتد صوتي حزيناً) :

– أأهرب عنك ؟ وأنت نصيبي من الأرض والشمس والقمر المتلألىء في وطني واغترابي ، ولون اكتئابي وضحكي ، وبيتي ومقبرتي وسحابي ، أنا أنتِ ، هل تذكرين ، أنا أنت وضاحْ . يا شعر وضاحْ . يا قلبه القروي اليماني المعلقَ في الأرض ، لم يغترب ظل يخفق للفجر حول الجبال ، وفي الحقل يحرس مزرعة الشمس ، ينمو ويورق ، يكبر في السنديان الجديد – القديم .

تحت جلدي تعيشين ، نبكي معاً ونصلي ، نجوع ونعرى ، نجدف في الله والشعب ، يضبطنا عسس الليل والمخبرون فاكتب إسمي وأخفيك تحت دمي ، لا يشكّون أنكِ كنتِ معي نتشمم رائحة الخبز ، نعبر

أرصفة المال ، أعلم أنكِ معروفة وأنا وحدي الرقم الضائع الاسم ، لكنني مشفقٌ أن يروكِ تنامين في الطرقات بلا زاد .. ليس يغطيك غير خيوط تبقت لنا من برود يمانية مجدها لا يريم .

(تتراجع ، تخفي ملامحها في الحصير المعفر ، تصرخ في دهشة) :

– أوه وضاح لا تقترب ، صرت مجذومةً ، يتساقط لحمي على الأرض ، تأكله الدود في كل ناحية ، تتقيح أنفي صديداً ، فم يتشقق ، كفاي مثقلتان ، لماذا تأخرت ؟ هل شغلتك عن الأهل والأرض « أم البنين »[1] الجميلة أم أنها احتجزتك مع السندباد بحارٌ من العشق في ردهات قصور الحريم ؟

(أتكور داخل نفسي وأهمس في خجل) :

– لا وعينيك ، يا روضة الحب ، ما خنتُ عينيك ،

---

(١) زوج الوليد .

بل كنت مغترباً رهن صندوق يحمله الفقر والجـــوع
والخوف ، عبر شوارع بغداد ، في « تُرب » النيل[١]
بين قرى الشام ، أبحث عن هدهدٍ يتعرف حزني يدله
عـــلى محنتي وانكساري ، وكانت دموعي تُغنيكِ ،
تكتب شعراً يناجيـــك « يا روضة » الحب ، يا أخت
« بلقيس » يا أمها ، يا حفيدتها البكر ، يا شمسنا في الليالي
ومصباحنا في الظلام البهيم . كم صرخت لعـلّ ندائي
يمر بسجنكِ يوماً ، فيمتد شوقُكِ ينقذني من متاهةِ
ليل الدوّار الذي طار ، يوقظني من سبات التشرد ،
أرصفة الليل في مدن لا تكونين فيهـــا تُطاردني .
وسمعتكِ ذات مساء تنادين ، جئتكِ منفرداً في بساط
من الدمع والشوق ، شعري سلاحي ؟ ومن قبل كان
كسائي وقـــوتي أفصّله في الشتاء رداء وفي الصيف
أشربه حين يشتدّ بي ظمئي ، ويحاصرني في الهجير
السراب السديم .

(١) مقابر النيل .

(تتململ في كوخهـا الموحش الجدب ، تُطلق صرخة يأسٍ وتطعنني بالسؤال) :

– لماذا تأخرت ؟..

اني هنا جثةٌ نبذتها المدينة تنتظر الدفنَ ، حتى الطيور الجوارح – لا لحمَ لي – نبذتني وطارت بعيداً كأنيْ بقايا عظامٍ من الأمس ، لا تستطيب الطيورُ لها مطعماً ، فابتعد يوشك الليل يهبط ، إني على موعـد والمواجيد ، أبكي بَنيّ الذين أضاءوا وماتوا ، أبوا أن يفروا ، فكانوا غذاء الذئاب مساءً ، وعند الظهيرة كانوا غذاء الهشيم .

(لا أصدقُ أن التي فتنتني وكانت لنا الماء والخبز والعشق تقضي بآلامها في الصحارى مقطعة الشَّعر ، مجذومة ، تتساقط رعباً ، فاسأل « عيبان »[1] ، أسأل وجه « الطويل »[2] الذي كان يومـاً طويلاً – أناجي

(١) و (٢) جبلان من حول صنعاء

بقايا حجارة « غمدان » ...

صوتاً كما الرعد ، يرحل في ...

السفن الغارقات على مرفئي .)

– قيل لي : إن « عرّاف وادي الهاجم » أخبر

مرة فتنبأ أن سوف تشفى ، وتنهض من دائها ...

تكشف عن ساقها ، ثم ترقص حافية فوق ...

وتغسل عار التسول والقهر ...

أعدائها وجبة للوحوش الأليفة والطير ، تقطع ...

الخليفة والحرس الملكي شواء ...

في حفلة البرء .. لكن متى ؟ والخليفة ...

دمّهم غير شعري على موته ، والنوار ...

مسجونة في القماقم ، والشمس مجنونة والنهار ...

الشمس لا تمر بغرناطة

« إلى العمال والفلاحين في شمال الوطن »

من يبكي في الظُلمه ؟

من يتحسس جثتها خلف جدار الليل

لا يدري آخر شيخ ودّعها منذ متى والشرق يقيم
بغرناطة مأتمه الليلي الأبكم

يتعذبُ ،

ينثرُ فوق قبور الموتى دمع الشوق الى مهرته المفقوده

كانت في لون الصبح جمالاً ،

يُسرجها في الفجر ،

يطير بها ،

تركض فوق المدن النعسانةِ ، تستيقظ ،

تغسل وجه الأرض بعينيها الدافئتين ،

تتمرجح خلف ضفائرها سحبُ القريه ،

تمشي ..

تتحرك ..

يجري تحت حوافرها نهرُ العرق الأسيان ،

تسير به سفن العمال المكدودين

يبنون قصوراً وجسوراً للمال

يشربه ،

يشربهم في علب الليل ، كبار الملاك !

وتنام جياعاً أطفال العمال !

المهرة تركض نافرة

[illegible]

[illegible] كأس الأرض ،

[illegible]

٥

[illegible] تسير على حقل الحنطه

[illegible]

[illegible] به نحو موائدهم
خبزاً ،

[illegible] السادة يستولون على الحنطة
والأرض معاً !

لا شيء يسير إلى الاكواخ ،

غير الدمعة ، لا شيء ...

تغضب ،

تُشهر سيف النار عليهم

ينجحر السادة خلف قصور الرعب

عنهم ، يتقدم جيش الجوعى لملاقاة النار

تتراجع ...

تخفي نار السيف

السيف يصير سؤالاً يتمدد فوق الارض وفوق البحر

ما يُبقي هذا الخيط .. القبرَ الواهن ؟!

الجائع يحرس قصر المتخم ؟!

المأسور يدافع عن ظل القيد ؟!

يا للمهزلة البشرية !!

●

من يبكي في الظلمه ؟

من يتحسس جثتها خلف جدار الليل ؟

غرناطة لا شمس لها .. مطفأة كل قناديل الليل

فمتى يلمع في الافق المعتم نجم ؟

يتحدى ،

يتحول شمساً ، قمراً ؟

كل الاقمار احترقت في الرحلة

الدرب رماد

فانطلقي يا مهرتنا ، انطلقي ،

يوشكُ أن يدهمنا ليلُ الليل الآخر

يسلمنا السجن الى السجن ..

تعود عقارب ساعتنا للخلف !

يا مهرتنا انطلقي

انطلقي ...

اول مايو ١٩٧٤
القاهرة

من حوليات يوسف في السجن

١٩٦٧

حينما ابتاعني الحزن من وطني ،

واشترى وجهي الخوف ،

كانت بلادي تسافر في القحط

تنتظر المطر الخبز ،

لست الوحيد الذي باعه أهله بدارهم معدودة ،

كم فتىً باعه أهله برغيف ،

وكم من فتاة بحفنة قمح .. تسلمها المشترون وغابوا مع الليل بعد رحيل النهار .

١٩٦٨

حين جاءت إلى الجب قافلةٌ

ومن الجب أنقذني أهلها

ورأيت السماء ضحكت . كأني من رحم الارض جئت
وها أنذا الآن في الجب ،

في رحم الرعب ،

أصرخ فى وحدتي :

- ليتهم تركوني هنالك فى الجب يشربني ماؤه ،

ترتديني الطحالب ،

والعشب يأكلني ،

والصدى المتوحش يشرخني ،

تتسلق وجهي جموع العناكب ،

تنسج حول فمي بيتها ،

وتقيم على أرض عيني المطار .

١٩٦٩

آهِ بــين الجبال المحاطة بالموت والليل ترقد « صنعاء »

فاتنتي ،

يستبيح الغزاة ملامحها ، و « العزيز » يــداعب قطته

في هوانٍ ويحصي « الريالات »

يخفي المفاتيح خلف سراويله ،

والجياع يبيتون من حول قصر « العزيز » عراة يصلون ،

ينتظرون سدى ،

يطبخون قدور التواكل والانتظار .

١٩٧٠

لم تكن قريتي قبل مصرعها ،

لتصدق أن « العزيز » خصي يتاجر فى عرض أبنائها ،

و « العزيزة » فى القصر تنهش فى عرضه وتتــاجر ،

تزني بأولاده واحداً واحداً ،

وبأحفاده ،

بالعساكر ،

بالغرباء المقيمين والعابرين ،

وكان يراها يؤرقه فعلها فيصب مخاوفه وانكساراته
فوق أضلاعنا لهباً وسياطاً ،

وأجهزة الانتقام تصادرنا وتوزع أكبادنا وجماجمنا
للدخيل .

١٩٧١

— (نحن في السجن أرواحنا في الزنازن ،

لا تبتئس لستَ وحدك في السجن ،

كل الحدائق والشجر البكر في السجن ،

والشمسُ في السجن ،

حتى الطيور التي عبرت أفقنا أصبحت مثلنا في القيود

سجينه .)

هكذا كان يهمس لي في البطاقة صوت الصديق الذي ظل

يحمل وجهي وصوتي ،

وكان له ظل عينيّ ،

شوقهما للنهارات والمستحيل .

١٩٧٢

حين كان الحديد يعض يدي ،

يتورم في قدمي ،

كنت أعلو به ،

أتسامق مئذنة للصمود وساريةً للإنارة . لكن مئذنتي

انكفأتْ ،

والسواري جفت مشاعلُها ،

والسنينُ استطالتْ بنا . مَن مِن القبر يحملني ؟
للحقول البعيدةِ يُرجعني ؟ طائري يعشق الفجر ،
يهوى الحياة طليقاً ،
ويكره وجه جدار الظلام ،
تعذبني لحظة الانطفاء ،
تعذبني ساعة الارتحال .

١٩٧٣

حصحص الحق ،
هل تستطيع القيود على شفتي أن تبلغها . إنني قد
قبلت الشروط ... من الآن سوف
أراودها أنا عن نفسها ،
وأشق القميص بأنفاسي الداميات الأظافر ،
أعرف أن محاسنها ذبلتْ ،

والغضونُ تحاصرها ،

يقضم الدود أثداءها ،

شفتي تتوقى العجائز ،

لكنهـــا السنوات العجاف – هنا – علمتني بألا أرد

لراغبــة ظهر ودي لأسلخ

من ظلمات الزنازن روحي ،

وانتشل الجسم من قسوة الاغتيال .

١٩٧٣

---

* حين كتبت هـذه القصيدة كان الصديقان الشاعران عبد الودود سيف ، ومحمد المساح في سجن القلعة بصنعاء بتهمة انهما يكتبان الشعر الحديث . وقد أهديت القصيدة اليهما تضامناً وتحية .

السفر في ذاكرة الابجدية

« إلى روح بطل ثورة سبتمبر
الشهيد علي عبد المغني ».

- ١ -

س : ستبدي لك الأيام ما كنتَ جاهلاً

ب : بانت سعاد فقلبي اليوم مبتول

ت : تأخرت استبقي الحياة فلم أجد

لنفسي حيـاةً مثل أن أتقدمـا

م : ما لجرح بميتٍ إيلام

ب : بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربى

ومـــا أحسن المصطاف والمتربعـــا

ر : رضى الناس بالهوانِ فهانوا

- ٢ -

شاحبةٌ أوراق الورد على أشجار الشمس

شاحبةٌ كل قناديل الذكرى

عاريةٌ من ورق النور

وخابية تحت عيون الأهل

وحول وجوه المدعوين

موسيقى الحفل جنازْ

إيقاع الرقص نشازْ

ميتةٌ كل الكلمات المسموعة والمكتوبهْ

كل حروف الأشياء

شاحبةٌ، ميتةٌ كل الأضواء

- ٣ -

مذ ودع غرناطة فارُسها الأول

ممتطياً سحب الشوق وممتشقاً برق الثوره

يَممَ شرقاً

كان بريق معابد بلقيس

أعمدة الضوء القمريه

تحمله نحو الشرق

تطير به،

منتصباً،

ما زال يغذ السير إلى غابات الشمس

لم يرجع..

لم يتكلم ..
وجه مدينتنا الأسيان
يتتبع ظل الفارس في النار وفي الماء
يتفجر في الليل دماً
في الصبح دموعاً
شاحبةٌ أقواس الزينة والكلمات
شاحبةٌ كل الرايات

- ٤ -

غرناطه
يا سيدة الأحزان
يا أم الشهداء المنذورين
في ذكرى يوم الميلاد الساطع
ميلادك أنت

يوم تجلى وجهك للناس

في ذكرى يوم الفرح الناصع

مُدي كفكِ للغرقى ـ من أبنائك ـ والمنفيين

للموتى والمنسيين

هذا وجه النائم تحت مراثي «صرواح»

يشرخه سيف النسيان

تدهسهُ عربات الليل

وتعبره أقدام برابرة الصحراء.

- ٥ -

س: سارتْ سنه والثانيهْ بتلحق

الله يصيب من بيننـــا بيمحَقْ

ب: بالله عليك يا طير يا رمـاري

فك الجنـــاح وردني بـــلادي

ت : توبه من الجنس اللطيف توبه

يغير المحبوب مثـــل ثوبه

م : من روسيا للصين للفيتمين

عُصبه على من فرّق المحبين

ب : بندر عدن يا ليتني معدن

أو ليتني جنب الحبيب مخزن

ر : روحي معك والقلب في انتظارك

والصدر ـ صدري ـ مرقدك ودارك[1]

١٩٧٣

(١) المقطع الأول من ديوان الشعر العربي القديم والحديث والمقطع الأخير من الفولكلور الشعبي اليمني .

احزان الليلة الاخيرة
من حياة عماره اليمني[1]

(الزمان : تساوى النهار مع الليل في ندرة الضوء ، لكنه كان ليلاً ثقيل الخطى عابساً ، والمكان : ذراعٌ من الأرض ، زنزانةٌ يتكور فيها السجين الذي سيقدمه الشعر للموت . تركض أشجانه عبر لون السؤال ...)

لماذا تغربت عن وطني ؟

---

(١) ترك الشاعر « عمارة اليمني » بلاده « اليمن » فراراً من الحكم الفاسد ، وجعل من مصر وطنه الثاني ، وفي ١١٧٥ م أعدم الشاعر شنقاً بتهمة التحريض الشعري على قلب نظام الحكم .

وهجرت زبيد[1] التي يتنازعني حبها والحنين على نطع
الموت ،

ألمح شرفاتِها والطفولة ، وجه الشباب النضير ،
التآمر والكيد ،
أسترجع الأصدقاء الوفيين والزائفين ،
ورحلتنـا في المساء الحزين ، السيوف يمانيةٌ والأكف
من الهند راعشة لا تطيق المقابض ،

من سيخلصني من عذابي وموتي ؟
ومن ينزع السيف عن عنقي المستكين ؟
أشتكي « للمقطم » للنيل حزني ومسغبتي
وأبث المآذن أنباء فاجعتي

---

(١) زبيد من المدن التاريخية في اليمن ، كانت العاصمة السياسية لليمن في عصر « عماره » وقد تلقى فيها علومه ، ومـارس شطراً من نشاطه الأدبي والسياسي .

يرفض النيل صوتي
يدير « المقطم » لي ظهره ،
والمآذن لا تستطيب صلاتي !
لماذا ؟

لأني غريب و « مملكة النفط » ترسل خلفي جواسيسها :

أين يخفي قصائده ؟
كيف يأكل ؟
أين ينام ؟.
ألا يتحدث جسمي الهزيل وثوبي المرقع عن فاقتي ؟
والجفون التي يتقرح فيها الحنين ألا تتحدث عن سهدها والعذاب ؟

(ينحني الصوت ، تنكسر الكلمات على فمه وهو يهتز منتحباً)

ليس لي وطنٌ ،

كنت أحسب أن النجـــوم وكل السموات والأرض

لي وطن ،

غير أن النجوم السموات والأرض صارت تضيق بجمجمتي

حين صار لها وطن يتعذب في الأسر ،

يشقى بأبنائه ،

يتشكل في كل ثانية مأتماً ويسافر في الرعب مغترباً ،

يشتكي عقم أيامه والخيانات لا يجد المشتكى ،

تتجمد آهاته في عيون بنيه دماً ،

وهو يُفضي بأحزانه وعذاباته للصخور .. التراب .

(تتزاحم أشجانه ، تصغر الأرض في رأسه ، أين يكتب آخر أصواته؟ الجبال حصى ، والتخوم زنازن مقفلة ، والطريق انحناءات لا تستبين معالمها ...) .

لم أكن شاعراً يتمسح بالكلمات الغليظة ،

ينبش قلب القواميس والكتب عن حكمة ،

يتمشى وراء المواكب منتفخـاً . كنت مبعوث

« مأرب » للنيل ، أسأل « إيزيس »

كيف استطاعت تلملم أوصال معبودها ،

علني أتوصل يوماً لتجميع أوصال

معبودتي وأعيد لها وجهها والبكارة ..

تاريخها الخصب ،

أبحث في سرة الأرض عن عطر أيامها ،

عن مدائن للحلم ،

عن مهرة تتمرجح خلف رموش السحاب .

(تختفي في السماء النجوم ، تدثرها غيمة بالكآبة والحزن في الأرض يبتلع الرعب لون المصابيح ، وهو يقلب جثته ضارعاً ...) .

أتحسس رأسي

غداً سيفارقني تاركاً خلفــــه الحب والحلم والحزن

والوطن المستباح المهاجر في الدمع .

أشعاره سوف تغدو لأجفانه كفناً ،

وصلاة لأطرافه ، من يصلي على جسد ضاع بــــين

التفجع والاغتراب .

المشانقُ في « ساحة الرجم » منصوبة ،

ودمي هارب من عروقي ،

بلا كفن عارياً أتساءل والموت يدنو ،

ويقترب الحبل من عنقي أي جرم أتيتُ ؟

المخاوف تنهش في رئتي ،

وغداً يسلموني إلى الموت ،

أهوى « زبيد » وأعبدها ،

أتعشّق في الشمس إشراقها ،

وأعانق لون الجبين المقاتل ، والبسمات الأسيره .

(ساعة البرج تعلن منتصف الليل . في ركضه الداخلي لم يزل ثابتاً جزعاً . يجذب الرأس من قبضة الحزن والخوف ، يطلق عينيه عبر حديد الزنازن نحو « المقطم » ...) .

« المقطم » تعويذتي ،

عند أقدامه تتمدد سيدة الشرق قاهرتي

قدماها على النيل ،

والشعراء الرفاقُ يغنون حزني لها ،

وهي فاتنة القلب والعين ،

كيف أموت على صدرها خائناً ،

يشطر السيف بينهما – بـين قلبي وعيني – يظل دمي

يتساءل عند الضحى والظلام :

لماذا تغربت عن وطني !

وهجرت زبيد التي باعني أهلها ؟

ألأني أخاف من الموت ؟

هوذا يتعقبني . مَن مِن الموت ينقذني ؟

يُنزع الحبل عن عنقي ؟.

السيوف – هناك – يمانيةٌ والأكف من الهند ،

والأرض لا تزرع النفط في وطني والجبال ... الجبال

– هناك رماد .

(المآذن لمّا تزل تتنهد ، في قبضة الليل ، تحت مخاوفها تذكر « الله أكبر .. » والقـادة الناعسون بظهر المدينة يستصرخون الجبال ، وما زال في صمته جاثمـاً تحت جمر القيود يصلي ...) .

لك المجدُ .. لم يبق بيني وبينك إلا بقيـة ليل .

سترحل أشباحُه نحو سردابها الأزلي العميق .

التحياتُ – كل التحيات – للناس ،

للأرض ،

والطيباتُ لهم ولعيني بلادي ،

لأحلامها ،

لإبتساماتها ،

وداعاً .. وداعـــاً « زبيد » التي في المنـام رأيتك
ضارعةً ، تتعذب عيناك في سجن جلادها ،

لن يطول الشتات ،

غداً نلتقي حين تفترش الشمس مخدعنا ،

وتمـــد ضفائرها فوق أشجارنا حيث تنبت ريش
الصقور الذين غداً سيعيدون للوطن الحب
والأمن ،

إني على أملٍ أغمض العين في اللحظات الأخيره .

(الشوارع مذعورةٌ تتفارر ، وجه المدينة ينهض من
نومه المتقطع ، مشنقة تتأرجح في غبش الفجر ، في حبلهـا
الكلمات الذبيحة خابية تتدلى ، العصافير من خلفها ترقب
الشمس ، حين تجيء سترحل فوق مراكبها وتشد الرحال بلا
شعر . عائدة لبراري زبيد) .

تنهيدة يمانية على جسر النهر الجاف

(كل من يزور « صنعاء » لا بد أن
يمر بنهر جـــاف يقطع المدينة إلى
نصفين ، ويقوم عـلى ذلك النهر
الترابي جسر قديم ..)

كان الليل سجيناً يتمدد فوق سرير الأرض ، ويرضع
ما أبقت سحبُ العام الشتوي .

من نيرانٍ في ضرع نجوم الشرق المطفيه .

والشمس امرأةٌ مسبيه

منذ احتجزتها الظلمات وراء الأفق

وتحطم وجه الفرح الاخضر

لم يتغسل جفن بالنوم

النوم بلا نوم ..

الشجر ، الإنسان ، الصخر ، البحر ، بلا نوم

النهر بلا نهر ..

الجسر يهاجر في الصحراء

صدئت عيناه من التحديق إلى الظلمه

يتراجع مذعوراً ..

آلاف النظرات العطشى تتساقط في عينيه على الوجه الحجري ،

شوكاً ، إبراً ، أسئلة :

أين النهر ؟. وأين الماء ؟

يا جسراً في الصحراء

جفَّ نخيل الفرحه

كل عصافير مدينتنا نفقت في الرمل
فرسان الشمس القادمة يموتون
فمتى تخضرُّ الشمس ،
ويحبل غيم بالأمطار ؟

. . . . . .

. . . .

. . . .

النوم بلا نوم
النهر بلا نهر
يتلوى مكسوراً
في رئة الأرض يغوص الجسر
القدمان الحجريان تغوصان
الصدر الطيني الاصفر

يدركه السأم الحجريُّ الأسود

ينخر في عظم الصخر الداء

ينزف في وجه الليل دماً

قبرا

نعشاً

يصرخ لا ماء ..

والليل امرأة شبقيّه

تتمطى فوق سرير الأرض النازفة الحبلى

ميعاد حضور الشمس تأخر

من يوقظها من مرقدها ؟

من يوقظها من مرقدها ؟

طالت رحلتنا في الليل الابكم

لا شمس لنا .. لا زاد

لا نهر .. ولا أبعاد

الجسر يغوص

يغوص

يغوص

النظرات العطشى تطعن وجه الاحجار

تطعنها بالصمت الاحجار

والليل دخان يتمطى

بحثاً عن نيرانٍ أخرى

عن صدر سرير آخر

. . . .

. . . .

. . . .

هل سيجيء الفجر ؟.

الطين – هناك – فتاة تحلم بمجيء الفجر

حبلى . . .

تلد الصلصالَ الاحمر والاخضر

تُرضع أشجاراً ووروداً حمراء

لتجيء عصافير الفجر ...

وتبني مدناً عاشقه

وجسوراً للحب وأنهاراً للماء

وجه ص ن ع ا ء
بين الحلم والكابوس

أيُّ وجهٍ أحدث عنه ؟

لصنعاء وجهان ،

أربعة ،

ألف وجه

فصنعاء خادمة في بلاط النجاشي

ومنسية في سجون الرشيد

وضائعة في بلاد كثيرة

(أسكن الله آدم الجنة ، فكان يمشي فيهـــا مستوحشاً ليس له زوج يسكن اليها ، فنام نومة فاستيقظ ، واذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه ، فسألها آدم : من أنت ؟ فقالت : امرأة . قال : ولم خلقتِ ؟ قالت : تسكن إليّ) .

صادق وجه صنعا الذي في المنام رأيت ملامحه ،

خارجاً – كان – من رحم الليل

ممتطياً مهرة الفجر ،

في كفه الشمس تختال في ثوبها ،

ونخيلُ الجزيرة .. أسباُطها يسجدون حواليه

هذا إذن وجه صنعاء ...

وجه التي عذبت كل عشاقها

واستكانت لجلادها

أطلقوا قدمى من حبال التشرد

حين أعود اليها ادفنوني على صدرها مثخناً أو قتيلاً
أنا بعض عشاقها
لست وحدي العشيق ، فما أكثر الواقفين على بابها :
الذي يحمل الروح في كفهِ
والذي يحمل الرأس مقطوعة
كنت أفقر عشاقها ،
أبخل الواقفين على الباب
كانت قصائد شعري هدية عمري لها يوم ميلادها ..
ليلة العرس ...
مذ فقدت في الربيع ضفائرها وفصولي شتائية
ودياري هي الحلم ،
من أجلها أسكن الشعر
والشعر يسكنني
يتخلق عبر دمي ، تحت جلدي خلايا وأنسجة

في النهار الكليل يرافقني في المغاور شمساً
وفي الليل يرقص في خيمتي قمراً
كلما اشتقت للوطن المستباح النجوم
نشرت خريطته في دمي ،
فوق جمجمة الشعر ،
في عظمه ،
وتحسست جرح القُرى والمدائن
ينقذني وجه صنعاء الذي لا يشيخ
الذي لا ينام
الذي لا يعاشره المستحيل
الذي في المنام رأيت ابتسامته
تشهر السيف فى وجه أحزاننا
تتحدى سجون الإمامة والحرس الخاص ،

تنشر سحب التفاؤل فوق العيون التي يزرع الجدب
أجفانها خشباً ورمالاً من اليأس

فاستيقظي يا جماهير « وادي القرى »

ها هي الآن تبتسم

الآن تجترح الرفض

تفترع الفرح الأزلي على صخر أوجاعنا

تتخطى المسافات ما بين صحرائنا والحدائق

ما بين أزهار « دجلة » والرمل

شبه الجزيرة ينعتق الآن

يكتب تاريخ ميلاده الفقراء الذين يبيتون جوعى

يصادر سفن قناديلهم ملك الليل

تنهض من نومها الجزر الغافيات

الخليج يحدق في دهشةٍ ، والنخيل تطل بأعناقها

(ولما دخلت الحية الجنة ، خرج من جوفها إبليس ، فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته ، فجاء به إلى حواء فقال : انظري هذه الشجرة ، ما أطيب ريحها

وأطيب طعمها وأحسن لونها ، فأخذت حواء فأكلت منها، ثم ذهبت بها إلى آدم فقالت : انظر إلى هذه الشجرة ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها ، فأكل منها آدم فبدت لهما سوءاتهما ..) .

وجه صنعاء كان الفنار

المنارة ،

والعشق ،

واللهب المتوهج في ليل شبه الجزيرة

لكنها انكفأت ،

لم يعد وجهها وجهها !!

أيّ وجهٍ احدث عنه

لصنعاء وجهان ،

اربعة

ألف وجه

فصنعاء خادمة في بلاط النجاشي

ومنسيةٌ في سجون الرشيد

وضائعة في بلاد العبيد ...

بكل المنافي تجوع

تكابد شطآنها والمرافىء ظامئة

وهي ترقب شمس المخاض بلا وجه استلبوه ،

وكانوا يبيعونه في المزادات

يختصم القاتل – الذئب ، والثعلب – اللص :

من سينادي عليه ؟؟

ومن يقبض الثمن البخِس ؟؟

[يغرق « مأرب » في دمعهِ

وحوائط « غمدان » تحني مداخلها خجلاً]

كيف تُشرى وتبتاع صنعاء

الحجارة ،

والشمسُ ،

والماءُ ،

كيف يتاجر في شرف الأم ، في عرضها الإبنُ ؟

كيف يساوم وهو الذي فيه من لحمها ،

فيه من جمر أشجارها

واسمه يتخفى – من التيه – خلف اسمها ؟!

لا أصدق ،

لا تستطيع الجبال أن تصدق :

إن اليمانيَّ .. هذا الأسير الطليق ، القديم الجديد

يتاجر في عظم أجداده الراحلين

وفي دمع أحفاده القادمين

ولو ضنّك الجوع أحشاءه

واستوى خلف كل الملاجيء منبوذة قدماه على رملها .

[تأكل الحرة الموتَ جائعةً حين لا تأكل الخبز من ثديها]

فلماذا يبيعونها ؟

من ينادي بسوق النخاسةِ ؟

من يشتريها ؟

تكاثر تجارُها :

(قال الله لآدم بعد أن أكل من الشجرة : لم أكلتها وقد نهيتك عنها ؟ قال يا رب أطعمتني حواء . قال لحواء : لم أطعمته ؟ قالت : أمرتني الحية . قال للحية : لم أمرتها ؟ قالت : أمرني ابليس . قال الله : ملعونٌ، مدحور . أما أنتِ يا حواء فكما أدميت الشجرة فتدمين في كل هلال، وأما أنت يا حية فأقطع قوائمك فتمشين جرياً على وجهك وسيشدخ رأسك كل من لقيك بالحجر) .

أين صنعاء ؟

هل يذكر البحر قامتها ؟ يتذكر في شارع الشمس صوت البخور ؟

القوافل في رحلة الصيف ؟!

ما للرمال تغطي جبين الطريق فتنفق خيل النهار !

الرمال — هنا وهناك على كل وجهٍ تنام

السيادةُ لليل ..

والفرح الطفل يبحث عن ثديها في القمامة ،

خلف الجليد ،

الجليدُ تكسّر صار كوجه الحبيبة أشلاؤه تتشظى ،

تسافر في كل عاصمةٍ من عواصم مملكة الليل

تمسك ضرع « المصارف » والنفط ..

ترسل من عرق الرمل

في سحب الفقراء الجياع « بوادي القرى »

مطراً تستحم القصور الغريبة في مـــائه والوجوه النحاس

[رصاصاً تمنيت لو كانت الكلمات]

لأطلقتهـا في وجوه الذين يبيعون وجه التراب الذي

تتمرى النجوم عليه ،

يبيعون هذا الجمال الذي تصنع الشمس والبحر

هذا السحاب الذي يتمدد فوق الخليج ،

على الجرح هذا الذي كان يدعى اليمن !

. (قال آدم : يا رب إن تبت وأصلحت ؟ فقال الله : إذن أرجعك إلى الجنة ..) .

أهذا إذن وجهها ؟ وجه صنعاء ؟

كم يصدق الوجه في الحلم !

لكن متى لا يكذبه الواقع المر ؟

من يملك الكلمات ؟

يحاول فك طلاسم هذا السؤال الذي يتحجر في العين،

يثقبها ؟

عل صنعاء تخرج من رحم الليل

تخرج من رحم الكهف

تخرج من رحم الحزن

تمنح أبناءها الواقفين على الباب ..

والمبعدين قليلاً من الماء

بي ظمأٌ أقطع السنوات العجاف بلا ماء ...

و « النيلُ » بيتي ،

أنام على الضفتين ، وينعس رأسي على الموج

ظلُّ النخيل مجاديف حلمي

وفي « بردى » فائض – والفرات – من الماء

لكن مائي هناك على هضبات « العريف »(١)

وعند « سُمارة »(٢)

حيث العصافير ظامئة يستبيها الهجير

على شجر « البن » تبكي

---

(١) من أشهر مزارع البن في اليمن .

(٢) من الجبال اليمنية الشهيرة .

ومن حول اشراكها تتفارر ، تزقو ،

فمن يحمل الجسد الشاحب الظل ؟

من يرجع الماءُ للنهر ، والنهر الماء ؟

من يرتدي عريَ أشجارها ؟؟

وجهُ صنعاءَ ..

وجهُ التجاوز والحلم ..

وجه البلاد – النهار – السعيدة .

١٩٧٣

مواجيد ليلية

إلى الصديق الشاعر زين السقاف

- ١ -

في ساعاتِ الليل الأولى

حين تصير الشمس طعاماً للبحر وللحيتان

يتخضب وجهُ الغرب دماً ،

يستلقي ظلي في رعبٍ داخل نفسي

تتحسس قدماه العاريتان طريقاً ليلياً

يتساءل هل ستعود الشمس ؟

هذا الضوء المذبوح على الأفق الغربي

هل يرجع ؟؟

هل صاحبة الشعر الذهبي يوماً ترجع

أعطي وجهي للريح وساقي للأحزان

وأمصمص أشجاني المنبوذة في صمت مكبوت

يا للساعات الأولى من موتي ،

من زمن الليل ...

- ٢ -

من يقتلني ؟

أي شفاهٍ تشفط ما أبقى عامُ الخوف وعامُ الجدب

على شرياني النـــازف من قطرات الدم المحترقة ؟

هذا سيف الغربه ،

يتوغل في العمق

يفتش داخل جدران الجسد الذاوي

عن آخر أنهـار الدمع

عن آخر أودية الفرح المذبوحْ

أرحل خلف جنازتها الحمراء

ترحل ذاكرتي خلف رحيلي

في المقهى يتسلق أصحابي أشجار البيره

يتكئون على حبب الكأس

على لون دخان السيجار

ذاكرتي لا تغفو

يتنكر لي الأصحاب .. المقهى

أتسلق أشجار عذابي .. أعصابي المكدوده

أتكىء على وجهِ الحزن

أتمدد تحت رصيف الشارع مكشوف
السرة عـــاري القدمين .
أخفي وجهي خشية أن تعرفني أشجار الليل المزدحمة
أشجارٌ تلد الأوراقَ الذابلة الخرساء
أشجارٌ لا تورق تتمدد في الأحشاء
والشارعُ مقلوب الوجه كما كان ،
كما سيكون ،
وبقايا ذاكرتي تتحسس صورتها تحت الأقدام
ورفاقي في الم[illegible] ،
فوق رؤوس الأشجار
على شرفات مداخل قصر الليل

- ٣ -

المرفأ خالٍ .. قاتمةٌ أمواج الليل

قاربُ صوتي مهجور

قنديلُ العودة – في وجهي – مكسور

يا ذات العين « السبئية »

أتوارى – منتظراً – في ظل الماء

مُدي جسراً بجديلتك الخضراء

فوق ضلوع البحر الأحمر

صوتي مبتلُ الكلمات ، وروحي طافيـــة في الشط الآخر

فانتشليني

انتشلي صوتي ، روحي

ضُمي حزني ، فرحي ، وجهي

كي لا أطفو كالقشةِ فوق رمال الماء

١٩٧٢

الظلام يسقط على سنتياغو

« تسألون لماذا في شعره لا يتحدث عن
الأحلام والأوراق، عن البراكين العظيمة
في وطنه الأصيل . تعالوا لتروا الدم في
الشوارع تعالوا لتروا : الدم في
الشوارع .. »

بابلو نيرودا

الظلامُ ،

الدماءُ ،

الدماء .. الظلامْ

القتيلةُ في آخر الأرض رايتنا

والقتيل الذي يتلفع شارتها ، يتدثرها كفناً

القتيل هناك : السلام

●

من يغني وقد رحلوا ؟

من يمزق فوق الشرايين أوردة الناي ؟

من يستطيع المثول أمام « أبولو » وقد سقط الليل فوق مدينتهِ ،

وتخيّر من بين أبنائه واحداً كان صوت الضمير الذي يمنح الكلماتِ طهارتها ،

والحروفَ نضارتها ،

ويعيد لها الدفء حين يكون الصقيع جليداً ،

وتنكفىء الشمسُ خلفَ خطوط الغمام ؟

المدينةُ أسلمتِ الروح ،

والديدبانُ

وشاعرُها أسلمَ الروح ،

من سيصلي لهم ؟ من يصلي عليهم ؟

حراب الجنود البرابرةِ المتخمـــين تسير على جثث الناس ،

تدهسهم عربات من القيح والعفن الهمجي ،

الظلامُ يقيم التراتيل

للسادة القادمين مع الليل ..

أين تُرى سيقيمون ؟

أين تقام المآدب ؟

وجهُ المدينة ممتقعُ اللون ،

غاصت ملامحهُ في بحارٍ من الوحل والدم ،

كلُّ الجبال مدمّاة ،

كل البراري حطام .

●

سنتياجو ،

اعذريني ...

اعذريني مياه المحيط إذا كنت لم أستجب للنداء الذي

اطلقته العصافير ساعة دوى الرصاصُ المغامر ،

واختلط الدم بالدم ،

ساعة أن سقط الليل فوق النهار

أعذري .. كيف أعبر نحوك ؟

رجلاي في القيد والطرقات محاصرةٌ بالجنود

و « نفط » الجزيرة يشرب صوتي

يبعثره في الفضاء دخاناً

ادر عشقي ،

يقيم من الأعظم النخرات لتاريخ مملكةِ الرمل ،

من رممِ الوثنيين، أسيجةٌ وتوابيت للموت ،

في سرة الأرض .

دوامةٌ من تورمهِ يتقيـأه جوفُها ذهبـاً ودموعاً ومذبحة ،

آهِ لو أن لي طاقةَ الشمس كنت اشتعلت وأشعلتهُ ،

وخبزت على نارهِ قرص شعبٍ من الفقراء ،

الجياع ،

العراة .

وجئتكِ يا درة القارة الضائعه .

●

من يغني وقد رحلوا ؟

من يهز التوابيت في ظلمة الليل ؟

من يستطيع السكوت

المدينةُ تغرق في الدم

تحترق الجامعاتُ ، المصانع ، أعمدة المسرح ، الكتب ،
الشعرُ ،

ضاق المدى ، رئةُ الأرض لا تتنفس ،

تجري الشوارع مذعورةً

سنتياجو تموت

ولكنها تتنفس في رئة الشمس ،

شطآنها المترامية المد تعلن عن بعثها :

من لهيب الحرائق تولد ثانيةً ،

قد تموت ـ مراراً ـ ولكنها سوف تولد ـ ثالثةً ـ

ثم رابعة ،

لم يزل في مخازنها الطينُ والماء والنار ،

والرغبات العنيفة للخلق لم تحترق ...

والذي مات ـ شاعرُها ـ صوته يتردد في الريح

في الشمس ،

في البحر :

ـ ها أنذا .. أسكنُ الريحَ والشمس ،

في زبدِ البحر ، في موجهِ ، في هدير المناجم

قادمةٌ سفني

والقصائد راجعةٌ ، راجعه

●

الدماء تسيل

الشوارع تجري بلا هدفٍ

تتعرى الحمامةُ من ريشها ،

تتحول صقراً بمنقاره يثقب الحائط .. الليل ،

يرحل في جسد الشمس ،

يغمس في لونها ريشَه ُ ،

فتعود الحمامة

حاملةً راية الوطن الراكعه ْ

يسقط الليل ،

تنتفض الجثة الوادعه ْ !

●

الظلام ُ ،

الدماء ُ ..

الدماء الظلام ْ

القتيلة في آخر الأرض ، رايتنا

والقتيل الذي يتلفع شارتَها ،

يتدثرها كفناً

القتيل هناك : السلام ْ !

حوارية عن الفقر ..

« لو كان الفقر رجلاً لقتلته »

علي بن ابي طالب

الشاعر :

من يقتله ..؟

ها هوذا يرتاد الحارات المقهوره

ممتطياً فرس الجوع

وممتشقاً سيف الأحزان

يذبحنا أطفالاً وشيوخاً
يحيا في الأقبية السوداء
يتجول في الأحياء المزدحمه

لِمَ لَمْ تقتله يابن أبي طالب ؟!
سيفك كان طويلاً
يخرج من صفحات القرآن
سيفي ما أقصره
كلماتي ما أقصرها

تخرج من شفتي إنسان
لا حولَ له ، لا شأنْ

علي بن أبي طالب :

سيفي كان طويلا
لكن الفعل قصير
فليغفر لي سيفي ،

شفتاه الظامئتان لكأسٍ طافحةٍ بدماء الفقر

لم ترتعشا يوماً

لم تغتسلا بمياه الشفق الأحمر

يا ويلي ضيعت الأيام سُدى

لم أتبين في الظلمةِ وجه الخصمْ

كان الفقر فتىً إقطاعي الدمْ

يحيا فيْ قصرٍ مسحور الشرفات

يتزوج خمساً

يستحلب أشجار « القات »

سيفي وأنا ، كنا نبحث عنه بين الفقراء

في ساحات الجوع المكتظه

ها هوذا يزرع أشجار البؤس

يبيع رماد الدمع

من يرغب منكم في قتل الفقر

فليقتله -- هنا -- فوق موائد أصحاب المال

في سهرات « التانجو »

في حفلات الأزياء

الشاعر :

هل كان الموت طريق الفقر ؟

أم كان الفقر طريق الموت ؟

علمنا يا ابن أبي طالب مما علمك الله

علي بن ابي طالب :

الموت الفقر

الفقر الموت

من يسلبك اللقمة

يسلبك الروح

من ينزع عنك الثوب

ينزع عنك الجلد

هذا «ألِف الأشياء»

«أبجد» أسفار العمر

اليمن .. الحضور والغيــاب

في لساني : يمنْ

في ضميري : يمن

تحت جلدي تعيش اليمن

خلفَ جفني تنام وتصحو اليمن

صرت لا أعرف الفرق ما بيننا

أيُّنا يا بلادي يكون اليمن ؟!

●

حين تبكين أسقطُ دمعاً على راحةِ الحزن

يحملني الحزنُ شارةَ حبٍ ،

يسافر بي لعصور الكآبة والألم السرمدي

فأعود إليك على زورق من شجنْ .

حين ترتحلين يصير دمي لغة الشوق ،

يكتبني الراحلون المقيمونَ ..

ادخل فيك ، وتنحشرين ـ هنا ـ في تضاريس وجهي

تصيرين ـ أنت أنا ـ لغـــة الرفض والمنح .. والدمع والضحكات ،

تصيرين نافذة للنجوم التي تتغرب باحثة عن وطنْ

حين تحتضرينَ أموت ..

يصدرني الموتُ للعالم الأسفلِ المظلم القاعِ

يشربني العدم المر

يأكلني ، حيث لا قبرَ لي .. لا وطن .

●

الحضور الغياب ،

التراب ، الدم ، الشمس فاكهة الزمن المشتهاة ،

الجياد ، النهودُ التي أنضجتها قرون التشهي

من الرمل تمتد خاصرة الشمس حرفاً من « المسند »
العربي ،

من ترى صيَّر الحرفَ حرفين فاغتال أعلاه صيَّره
أعجميا

يجيد التلاعبَ بالبنكنوت المزيف ،

في موكب « العم سام » يُطأطىء هامته ويسير بلا
رأس ؟

من أوقف المهرة النار عن زحفها ،

واستوى فوق عرش الخيانة يستمنح « الفرس » جيشاً
وأجناده في البراري حفاه ؟!

من يقدم « صنعاء » تفاحةً فوق مائدة القتل ؟

من يشتري بجماجم أبنائها خدراً وسجائر للقادمين
مع الليل ؟

ماذا تقول المدينة ؟؟

لا شيء ..

ألقت بجثتها للسكاكين

واستسلمتْ

خلعت في الربيع أنوثتها

وبكت في انتظار الشتاء

●

يمنٌ واحدٌ ..

عشت أحمله – راحلاً ومقيماً – على ساحة العينْ

ماذا يقولون ؟

صارت مجزأة القلب ، مكسورة الوجه ،

صار اسمها في المحافل « صنعاء » يوماً

ويوماً « عدن »

لا أُصدقهم ..!!

فهي واحدة كلما أثخنت في التراب السكاكين ..

أدمى التراب السكاكين ...

واندمل الجرح

واسترجع الجسد اليمنيُّ الممزق أبعاده

شكله

واستدارته

نهضت من خرائبهِ المقفرات اليمن

نوفمبر ١٩٧٢

الطفل والمغني الغريب

- ١ -

كان طفلاً شقيَّ الملامح

أبناؤه يكبرون ،

يشيخون ،

يبتلع الموت أحفاده

وهو طفلٌ بلا موتْ

ترضعه الأرض نارَ بكارتها

قدماه على كبد الطين موثقتان إلى صخرة الليل

مدتْ له الريح قامتها فاستوى

قدماه على الماء

صار اسمه قمراً

صار شمساً

ولكنه عاد طفلاً

لماذا يبعثر أيامه في الطفوله !؟

صارت لهِ قدمان من الماء والنار

كفٌ من الريح

وجهٌ من الشمس

صوتٌ من العاصفه

متعبات خطاي على الرمل

مرهقة كلماتي

كأن الحروف مُدىً ودمامل

موغلة في عروقي

تمزق صدر النهار

تضاعف من زحمة الليل

تشرخني ...

مهرةَ الحلم مدي جدائلك الخضر نحوي

لعل حبال الظلام التي -- كالثعابين -- تلتف من حول خاصرتي

علّها تتناثر

يدركها السأم المر

يذبحها خنجر الانتظار

- ٣ -

المشانق تنبت حولي .. أمامي وخلفي
وأشجارها في الفضاء القريب معلقةٌ
تتدلى نهاراً وليلاً
شتاء وصيفاً
نذرت دمي ،
كلماتي ،
حياتي وموتي له
وهو يلهو بأشلاء أبنائهِ
بانتصاراتهم
بانكساراتهم
ذلك الطفل

شابت على كتفيه النجوم

وشاختْ ضروع الدموع

وما زال طفلاً

يحطم رأس التقاليد والحكمة الميته

ويحطمه الجوع والحكمةُ الميتهْ

- ٤ -

من يعيد البراءة للقمر الطفل ؟

من يرجع السحبَ المطرات إلى الرمل ؟

من يحمل السيف في وجه ليل الصحاري ؟

ويغسل وحل التسول عن وجه مهرتنا ؟

أيها الليل قف ..

أيها الليل قف .

من يبارزني ؟

هكذا تصرخ الكلمات !!

فيخضرُ سيف الجياع

تطول حراب التمرد

ها هوذا الشعر تمضي مواكبه للقتال

ومن تحت راياته تستقر الجماهير صفاً

ويخرج من صمته الشعب

تولد من عقمها الوردة النافره

من حوليات الحزن الكبير[1]

السنة الأولى :

من آخر الدنيا أتيتُ حاملاً حزن النجوم ، وجع الأرض ودمع أهلها . تاه بي الطريق ، لا دليل غير خيط من دم لشاعر مثلي مضى ولم يعد ؛ أشعاره منسية على جوانب الطريق شجراً يبكي ، لا يجد المأوى ، وصوتاً يسكن الصحاري لا تطيق الريح حمله ، والليل لا يطيق ظل النور في حروفه اليابسة الدماء .

(١) فى الذكرى التاسعه لرحيل شاعر اليمن الكبير الاستاذ محمد محمود الزبيري .

السنة الثانية :

من آخر الدنيا أتيت
في يميني نجمة تخبو فيكسوني رمادها حزناً
وفي يساري نجمة تشع فرحاً
من أجلها أعيش
في أحلامها أحيا . وأكتب القصائد النجوى
أجول في القرى الموحشة الأسوار
بي جسارة الفجر ، وعمق النهر ، ودأب الفصول .

السنة الثالثة :

أين انتهى به السير ،
المسافر الذي مضى ولم يعد ؟!

أسأل عنه القمر الشاحب والسحابة التي تركض من خلف الجبال السمر ، دمه على ثوبي ، ونعشه في العين ، والقبر الذي احتواه يحتويني ، غير أنني أسمعه في الشجر

الذي يبكي ، وفي النهر الذي يسير غاضباً ، ألمح وجهه الضاحك في حجارة المسجد ، في مآذن المصنع ، في عيـون طفل يولد اليوم وفي نشيده الذي سوف يقوله غداً للسنوات القادمة .

السنة الرابعة :

أصرخ حين تمضغ الأحزان خبز أيامي ، وتورق التجاعيد على وجهي :

من يشتري حزني ؟!

فألمح القصور تفتح الأبواب ، وأرى العيون الزرق و « العقالات » تشد رأسها نحوي ، أسقط في بئر من الخزي العميق ، تبرق العيون الزرق ، أستعيد صرختي ، أبصق في كل الجهات جائعـاً ، أهرب من صلصلة النقّود ، احتمي بحزني لن أبيعه بمال الأرض ، بفرح الليل لأنه أنا ، لإنـه يقيني ، وطني ، ووجه كل مقهور وكادح تراب أمي ، حيث كنت والرفاق في

طفولتي نلعب ، نجبل الطين قلاعـاً ، ونُسوي الصخر فرساناً ، ونبني حولنا الأسوار والخيام .

السنة الخامسة :

يكبر جرح الوطن المغدور في صدري

لا أستطيع حمل راية الأحزان وصليب النفي

في دمي أسمع صوت الموت قادماً ،

لكنني أراه – ذلك الذي مضى ولم يعد –

ألمس كفهُ ،

ها هو ذا يلبسني في ساعة الأشجان بردة الشعر ،

يقول لي :

هذا هو الشعر انطلق على مهرتـــه ، ارتحل إلى عوالم الخلق البعيدة المدى ، لن يدركوك ، وهناك حيث

لا عين رأت ، ولا .. الحزن يغدو فرحاً ، والليل
خندقاً يخفي جنود الشمس ..

جسراً يعبرونه إلى النهار

السنة السادسة :

الطرقُ لا يلين ..

سوف يستمر الطرق

سوف يشتد مع اقتراب ساعه الصفر

المدى يضيق بين حلمنا وحلمنا

أفراحنا على الأبواب

لم تزل ضحايانا كثيرة لكننا على الأبواب

نفقد فارساً هنا ، تستقبل الشمس حزينة جثمانه ،

تواريه جفونها

يسقط خائن هناك

حين يهوي يخلع الليل عليه ثوبه الدامي ،

تبتلع الصحراء رأسه على رمالها الصفراء ينطفي بريق الثمن الذي باع به حقول الشمس والمصانع التي تمتد من ضفاف نهر الحلم حتى شاطىء النجوم .

السنة السابعة :

عامٌ مضى ،

وآخر مضى ،

سبعة أعوام مضت وذلك الذي سارت به سفينة الدم مضى ولم يعد ، زيت المصابيح حديثه ، أشعاره قوت القلوب وغذاء الشعب .

في حدائق النهار تنمو شجراً

على نوافذ البيوت أزهاراً

وفي عيون الناس إصراراً

وصوته يسقط دمعة على مقابر الذين رحلوا ولم يعودوا ..

جففوا نشيجكم يا أيها الباكون حول الدمعة الصوت ..

ألا تصدقون ؟!

الدمعة الصوت تقول :

في غد ينفلق الحرف يصير بسمة حين يصير الشعب شعباً

– لا قطيعاً – ويعود الراحلون في مواكب التحرير .

مارس ١٩٧٣

تقاسيم على قيثارة مالك بن الريب

إلى الأصدقاء الشعراء من فلسطين
المحتلة : أحمد دحبور ، محمد حسيب
القاضي ، عبد البديع محمد .

يوشك الآن أن ينتهي زمن الوصل والفصل
أن ينتهي زمن الخيل والليل
أن ينتهي بيننا
– مهرتي وأنا – كل شيء
توشك النار في الجسد المتألم أن تنطفي

أن تعود إلى نهرها
مهرتي تركض الآن عارية
هي تمضي جنوباً ، وأمضي شمالاً
تطارد ظل الغزالة ، أما أنا فيطاردني الليل
يلحق بي
أسمع الآن رجع حوافرها فوق صخر الزمان
أرى صورتي في الصدى
وأراني فتى تتألق أحلامه
يتسلق نخلة الثورة البكر
ينتزع الشمس من أفقها ويقدمها للحبيبة مهراً
أراني أنازل بالكلمات وبالسيف غول الخرافة ،
أسخر من كل ما كتبوا ...
أتقيأ كل الذي قلته ويقولون
أسخر من لغتي

وتضاريس وجهي

من اسمي

وعائلتي

مهرتي تركض الآن عارية

يتلاشى الصدى فوق صخر الزمان

فأسمع صوت أنيني :

بكى الشعر مرثياً وأجهش راثياً

وأمطر من نار الدموع القوافيـــا

تقرّح في ليـــل المآسي جبينه ،

وأجدب أبعاداً ، وجفّ مبانيـا

تأبطهُ من لا يطيق احتراقه ،

وعانقه من لا يجيد التلاقيـــا

ولي في سماء الفن منه عرائسٌ

تقيم على خـــد النجوم المراقيا

« بوادي الغضا » غنيت للحب غنوة

تناقلهـــا الشرق المغني لاهيا

وحين دعاني الموت لبيت صوته

بقافية كادت تشق المآقيا

لماذا يموت الشعر في عنفوانه ،

ويسقط حرف الله ظمآن باكيا ؟

تطارده « زرق العيون » وعورها

تساوم فيه الموقف المتساميا

يطوف حواليه وحيداً فلا يرى

سوى الليل طوافاً عليه وساقيا

أيركع ؟ لا ، مهما يكن عنف ليله

فما زال موت النفس للنفس شافيا

استغاثات « يافا » تحاصرني

توقظ الجسد المتألم من موتهِ

كلما أطبق الموت أجفانه

أيقظته رياح النشيج

يصير النشيج دماً

يفتح الدم نافذة الذكريات

أراها ...

ينام على صدرها « الفجر » القادمون مع الليل

أبناؤها لا يطيقون رؤيتها

يرفضون الوصال

ومن دمها يكتبون القصائد عشرين عاماً

ويحتفلون بأحزانها كل يوم على حائط الكلمات الشريده

أصرخ : ها هوذا يا « بن عفان » باب الجهاد

وهذي ثغور الشآم على الليل مفتوحة

تتمزق حنجرتي

وعلى القرب وجه «خراسان» يضحك من وجعي

والنجوم المسدسة الحد تجرح وجه مآذن «يافا»

وفي الليل تخبو سيوف «ابن عفان»

يبتلع الرمل صوتي

وأسقط في جرح ذاكرتي:

أرى وجه «صنعا» في النجوم معاتباً
وأقرأه في الحلم غضبان شاكيا

بقلبي أناجيها فيورق جفنها
دموعاً وتنسى في الضلوع المناجيا

حملت هواها في ضميري، وفي دمي
زرعت لها شمساً ونهرا ووديا

فصنعاء أُم الشعر والشوق والهوى
وكانت – وما زالت – هوانا المثاليا

إذا نسيت حبي ونهر قصائـــدي
فإن هواها في دمي ليس ناسيا

وهبت لها وجه الشباب ، وهـذه
بقية مـــاء العمر أسفح راضيا

ينافسني في حبها الفجر والضحى
ويبقى اليها القلب غرثان صاديا

أظل بنار الشوق أشوي عواطفي
حنيناً ، وأشوي في الحنين فؤاديا

كتبت بدمع القلب أسفار شوقنا
إليها ، وناجيت الحسام اليمانيــا

فلم تستثر صمت الجبـــال ولم تثر

بأحزانهـــا عبر البحار الموانيـا

ن بعيد يدوي الرصاص المغامر

كل الشبابيك مقفلة .

عيون المساء بلا لون

مثقله بالجراح النجوم

تعود العصافير مغسولة بدم النخل

والموت يفتح بوابة الشرق

تلمع أنيابه

حبنا العربي ذوى ،

مات ، والبحر ،

طال انتظار البراعم

كان الزمان يمد يدا

ويشد يدا

والرصاص يصافح « عمّان »

و « القدس » تدفن أحزانها في عيون التراب الجريح

تنادي بلا صوت

كان « البراق » يعود فلا يجد الصخرة – الأرض

أين يحط الجناح ؟

بكى كجوادي غداة الفراق

وألقى متاع النبوة عن ظهره

ومضى يذرع الأرض بحثاً عن الصخرة الضائعه

هوذا يركض الآن حول « دمشق » الجديده

« عمان » تغتاله

وشوارع بيروت ترفضه

أين يخفي الدموع وقد أثقلته المواجع ؟

أين ينام « البراق » الجريح ؟!!

يحاصرني ليل الزمان كأنني
نهـــارٌ تحدى بالشموس اللياليا

ويفجـــأني في كل يوم بغارةٍ
وأقرأ فيـــه كل يومٍ معــاديا

يبعثرني في ساحة الحزن كفهُ
كما بعثر الصيف الرمال السوافيا

وتضحك مني كل دارٍ شريدةٍ
(كأن لم تر قبلي شريدا يمانيا)

أصيح بلا صوتٍ ،وأشكو بلا فمٍ
وأبكي بلا عينٍ ، وأحسو بكائيا

أمامي جحيم لا أطيق اقتحامه ،
وويلي إذا ما عدت يوماً ورائيا

وقد خانني الشعر الحنون وكان لي

رفيقاً ، وإن حاربت كان حساميا

«خراسان» تلهو بي ،و«عمان» محنتي

و« بغداد» نجمٌ صار في الأفق خابيا

و«صنعاء» ما صنعاء؟ ألمح في الدجى

مــآذنها مستسلماتٍ بواكيــا

تقرّح وجهي في الشعوب ولم أجد

لفاتنة القلب الطبيب المداويــا

جسدي يذبل الآن

تبتل في دمعه الكلمات

و « وادي الغضا » ليس يدنو

لمن أهب السيف ؟

هذا الذي أرضعته الحروف على صهوات اغترابي

وكان رفيقي إذا عربد الليل في رحلتي

واستنامت عيون الرفاق

مهرتي لم تعد غير ذكرى

يحاصرني النوم

ها أنذا نمتُ

متُ

انتهى جسدي

أصبح الوقت للموت

لا وقت للشعر

لا وقت للحرب

فلتركضي مهرة الفجر

مُدي الخطى

أيها السيف نَمْ

أيها الشعر نَمْ

واسترح يا جواد

١٩٧٤

الى عيون (الزا) اليمانية

- ١ -

أنتِ ما أبصر الآن

ما كنتُ أبصر بالأمس

عيناك ضوئي

ووجهكِ نافذتي .. ودليلي

إذا سألوني عن اسمي أشير إليك

وإن سألوني الجواز نشرت على جسدي وجهك العربي

المرقع بالجوع

أنتِ أنا

يتكلم في شفقي صوتك الواهن الحرف

لا صوت لي،

صرت وجهي وصوتي

وعين غدي

يا أميرة حبي وحب الزمان

- ٢ -

في المساء تجيئين عاريةً

لتنامي - هنا - بين صدري وقلبي

وتغتسلين بماء الحنين

فماذا جرى يا نبيذي وقاتي

يطاردني الليل ينسل في جسدي

وبطيئاً . . بطيئاً يمر الزمــان وأنت هناك . . بعيداً
بعيداً

يجيء المساء فلا تحضرين

لماذا تأخر وصلُك ؟

هل أفسد الليل ما بيننا ؟

أم أعاقك رمل الصحارى ؟!

تعالي . .

فهذا هو الأفق يمتد منتظراً

والشبابيك مفتوحة

وسريرك خالٍ

وريحك تعبق

فانهمري

إن وجهك ينتشر الآن في حجرتي

شجراً ، وورودا

وحقلاً من « البن »

نافورة من حنان

- ٣ -

أيها القادمون وفي صدر أثوابكم من روائح « إلزا »

دعوني أعانق في عطرها نخلة الشوق

أشرب من لونها قهوتي

قبل أن يأتي المخبرون

فينتزعوا شفتي

وتفتش أقدامهم عن مواطن

أسرارها في دمي

قبل أن يغسل الدمع أثوابكم

وتضيع ملامح صنعاء بين رماد العيون

وصمت المكان .

فهرست

مأرب يتكلم

مشهد من فصل

الصوت ·· والصدى

مأرب يتكلم

الى السلاح ·· أيها المواطنون

تأملات حزينة فيما حدث

أيوب المعاصر

الى اللقاء

على أبواب شهيد

لــو ···

آه ···

أغنيات صغيرة للحزن

هابيل الاخير

الى فأر

بطاقة اليها

في انتظار « جودو »

الشمس تسقط في المغرب

رسالة إلى سيف بن ذي يزن

هوامش يمانية

على تغريبة ابن زريق البغدادي

عودة وضاح اليمن

